جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية
العلوم الإجتماعية

مذكرة ماستر

علوم اجتماعية
شعبة الفلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
الاسم اللقب: لميس حوسة

يوم: //

ابستمولوجيا الرفض عند "غاستون باشلار"

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 2	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية : 2023/ 2024

الإهداء

إلى روح والدتي الكريمة

إلى والدي الكريم

إلى سندي ورفيق دربي زوجي

"صدام بوشمال"

كلمة شكر

الشكر لله من قبل ومن بعد الذي وفقنا إلى إتمام هذا العمل.

وأتقدم بجزيل الشكر وخالص الامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل، وفي تذليل صعوباته، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور "علي يطو" من المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر العاصمة، والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته أو بالكتب العلمية التي تخدم هذا البحث.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الذي قبل الإشراف على هذا العمل العلمي مع شكر أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه المذكرة.

كما ونشكر قسم الفلسفة بدء برئيس القسم وكل الطاقم الإداري، مع الشكر الموصول إلى جامعتنا ودولتنا التي تسهر من أجل توفير ما يسهل علينا العلم والتعلم.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة الواجهة	
صفحة فارغة	
مقدمة	أ- و
الفصل الأول: السياق التاريخي والعلمي لتطور ابستمولوجيا "باشلار"	
تمهيد	12
المبحث الأول: التطور الفكري لـ"باشلار"	17
1- المطلب الأول: مهمة "غاستون باشلار" الفلسفية	17
2-المطلب الثاني: نظرة "غاستون باشلار" للمذهبين العقلاني والتجريبي	18
3- المطلب الثالث: نشأة فلسفة "غاستون باشلار"	20
المبحث الثاني: السياق العلمي لتطور ابستمولوجيا "باشلار"	22
1- المطلب الأول: الفلسفته المفتوحة	22
2- المطلب الثاني: مشروعه باشلار الفلسفي	23
3- المطلب الثالث: التأسيس الفلسفي عند باشلار	25
المبحث الثالث: العقلانية الكلاسيكية والوضعية المنطقية في فلسفة "باشلار"	27
1-المطلب الأول: العقلانية الكلاسيكية	27
2- المطلب الثاني: العقلانية المنفتحة	28
3- المطلب الثالث: الوضعية المنطقية	29
الفصل الثاني: المفاهيم الابستمولوجية الاساسية في فلسفة "باشلار"	
المبحث الاول: الابستمولوجيا وفلسفة العلم عند "باشلار"	36
1- المطلب الأول: الابستمولوجيا المفهوم والنشأة	36
2- المطلب الثاني: مفهوم الابستمولوجيا عند باشلار	39
3- المطلب الثالث: الجانب النفسي في العلم عند باشلار	41

المبحث الثاني: القطيعة المعرفية والعائق الإبستمولوجي عند "باشلار"	44
1- المطلب الأول: القطيعة المعرفية	44
2- المطلب الثاني: مستويات القطيعة المعرفية	45
3- المطلب الثالث: تعدد القطائع المعرفية	47
المبحث الثالث: مفهوم فلسفة النفي(الرفض) عند "باشلار".	50
1- المطلب الأول: السياق التاريخي لفلسة الرفض	50
2-المطلب الثاني: مفهوم فلسفة الرفض	51
3- المطلب الثالث: الغاية من فلسفة الرفض	52
الفصل الثالث: مكانة ابستمولوجيا "باشلار" الفلسفية	
المبحث الأول: مكانة ابستمولوجيا "باشلار" العلمية	57
1- المطلب الاول: قيمة فلسفة باشلار	57
2- المطلب الثاني: الفلسفة المنفتحة هي الفلسفة العلمية	58
3- المطلب الثالث: الفيلسوف الحقيقي في فلسفة "باشلار"	59
المبحث الثاني: انعكاسات ابستمولوجيا "باشلار" على الفلسفة	61
1- المطلب الأول: مساهمات باشلار في التحليل النفسي	61
2- المطلب الثاني: مساهمة باشلار في التأسيس لتواصلية "هابرماس	62
3- المطلب الثالث: التأسيس للعقلانية المعاصرة	63
المبحث الثالث: نقد فلسفة "باشلار"	65
1- المطلب الاول: "باشلار" والكوجيتو الديكارتي	65
2- المطلب الثاني: "غاستون باشلار" وتصحيح العلم	66
3- المطلب الثالث: "غاستون باشلار" وفلسفة العلم	67
خاتمة	71
قائمة المصادر والمراجع	73
الملخص	77

مقدمة

مقدمة:

يعتبر "غاستون باشلار"(Gaston Bachelard 1884- 1962م) من الفلاسفة المتعددي المداخل وموحدي المخارج، بمعنى أن فلسفته مفتوحة، تدخل إليها من طريق الخيار العقلي أو فلسفة الرفض أو الفكر العلمي الجديد، أو من خلال دراسة المذهبين العقلي والتجريبي خاصة في فهم العقلانية التطبيقية، أو من غير ذلك من المداخل الفكرية التي يُجمع كل باحث في فلسفته بأنه ومن خلالها يمكن تصور فلسفة "باشلار"، والمعنى أن قراءة "باشلار" من خلال المداخل التي ذكرناها آنفا سيؤدي إلى قراءة علمية دقيقة حيث يمكن اعتبار كل مؤلف من مؤلفاته مدخلا لقراءته، ومن هنا تظهر قيمة فلسفة "باشلار" في رفضها للأنساق الفلسفية كالمثالية والعقلانية وغيرها، وليس هذا فحسب بل ونقد تلك الأنساق ومن هنا كانت فلسفته تركز على النقد أكثر من تركيزها على بناء نسق معين يمكن قراءته من خلاله، هذا النقد تمثل في "فلسفة الرفض".

إن ما يميز فلسفة "باشلار" أنه يعتقد بأن الفلسفة لم تتطور بتطور العلم لأسباب كثيرة، منها اهتمام الفلاسفة النسقيين بالأفكار المثالية وعدم خوضهم في الأفكار العلمية جراء تكرار مباحث أصل الكون وأصل المعرفة ونحو هذه المباحث الكلاسيكية، وهو ما جعله يدرك طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم على غرار السائد آنذاك في فرنسا من أفكار الفلسفات الروحية والمثالية والعقلانية مثل فلسفة "هنري برغسون" (Henri Bergson؛ 1859-1941م).

بمعنى أن تطور الفلسفة مرهون بنوعية الأسئلة التي تطرحها في العلم وأن تبتعد عن بناء الأنساق المغلقة التي تستهلك الوقت في تفريعات فارغة لا معنى لها مثل البحث في أصل المعرفة هل هو العقل أم الحس؟ السؤال الذي تجاوزه "إمانويل كانط"(Immanuel Kant 1724- 1804م) بفلسفته النقدية، مبيّنا بأنّ الواجب ليس الخوض في أصل المعرفة بل الواجب على الفلسفة أن تثور على كل المفاهيم الكلاسيكية وأن تتجاوزها بالنقد، وتهتم بالإنسان كما قال "كارل ماركس" (Karl Marx 1818- 1883م) والفلسفة الوجودية مع "مارتن هيدغر" (Martin Heidegger 1889- 1976م) "وجون بول سارتر"(Jean-Paul Sartre/

1905– 1980م)، بل وتبحث فيما يتطلبه العلم من مناهج علمية تساعد في البحث عن الحقيقة في صورتها العلمية.

إذا يرى "باشلار" أن قيمة الفلسفة تكمن في اتصالها الدائم بالعلم ذلك أن العلم محتاج إلى التأطير الفلسفي، كما أنّ الفلسفة بدون علم تعتبر فارغة وتصبح مثالية، وهذا لا يعني أن الفلسفة لا يجوز لها الاهتمام بالميتافيزيقا أو غير مرتبطة بها بل الميتافيزيقا جزء من الإنسان كونه دائما يفكر في ما وراء الطبيعة بحثا عن معرفة المجهول والغيبيات، وهنا تظهر قيمة الفلسفة "الباشلارية" في أنها مدافعة عن العلم خاصة فيما يتعلق بحل المشاكل النظرية الكبرى التي تعتري طريق العلم، وعليه فإن فصل العلم عن الفلسفة يضر كلاهما بالنسبة إلى "باشلار".

وهكذا يحاول "باشلار" أن يؤسس مفهوما جديدا لفلسفة العلم بإعادة تكوين فكر علمي قائم على فلسفة النفي (فلسفة الرفض أو فلسفة اللا، كما يترجمها البعض)، ذلك أن فلسفة الرفض تستهدف كل الاحتمالات ولا ترتكز على التناقضات مثل جدلية "فريد ريش هيجل" (Georg Wilhelm Friedrich Hegel/ 1770—1831م)، ومن خلال هذا المشروع سيقوم بإدماج تصوراته العلمية بتحديد الإطار الابستمولوجي الجديد، الذي تنتظم فيه المعرفة الجديدة من جهة أن التقدم العلمي المعرفي الإبستمولوجي هو في نهايته انتاج للقيم أكثر منه تراكما، فـ"باشلار" كفيلسوف علم يحاول انتقاد المذهب العقلاني بشكل عام، وينقد المسلمات العقلانية المتمثلة في القول بوجود معارف أو مبادئ أو أفكار أولية سابقة عن التجربة الحسية، كما وينتقد أيضا وفي الوقت نفسه المذهب التجريبي القائم على مسلمة المعرفة الحسية من جهة أن الطفل يولد صفحة بيضاء ثم يتعلم عن طريق التجربة وفقط كما يقول "جون لوك" (John Locke 1632– 1704م)، ولرفضه للنزعتين العقلية والحسية متأثرا بالفيلسوف "كانط" في نقده للمذهب العقلاني بتأليفه لكتاب "نقد العقل الخالص" ونقده للمذهب التجريبي في كتابه "نقد العقل العملي".

إشكالية البحث:

وبذلك يكون الإشكال العام قد تمحورَ حول السؤال التالي: ما مفهوم فلسفة الرفض عند "باشلار"؟

كما يمكن معالجة هذه الإشكالية انطلاقا من الإجابة على الأسئلة الآتية التي تُلَخِّص أهم النقاط التي يتطلّب البحث المرور بها موضوعا ومنهجا، كما يلي:

. ما السياق التاريخي والعلمي الذي من خلاله تأسست فلسفة الرفض عند "باشلار"؟

. ما المفاهيم الإبستمولوجية الأساسية في فلسفة الرفض عند "باشلار"؟

. ما مكانة فلسفة الرفض "الباشلارية" في ظل النظريات العلمية المعاصرة؟

المنهج:

ولمعالجة هذه الإشكاليات والإجابة عنها فرضت طبيعة الموضوع إتباع المنهج التاريخي في محاولة تتبع السياق التاريخي والعلمي لتطور فكر "باشلار"، مع المنهج الوصفي من أجل تحديد المفاهيم الأساسية في فلسفته، إضافة إلى المنهج التحليلي المقارن ووظفناه للكشف عن الموقف الإبستمولوجي "الباشلاري" والخلفية الفلسفية له من أجل فهم فلسفته المفتوحة. أما لمنهج المقارنة فقد كان أداة للتمييز بين خصائص فكر "باشلار" وغيره من الفلاسفة لمعرفة قمة "فلسفة الرفض" وانعكاساتها على النظريات العلمية فيما بعد.

أسباب اختيار الموضوع

كانت الأسباب الموضوعية أكثر دافعية لاختيار الموضوع، وذلك من ناحية أن الدراسات السابقة لفلسفة "باشلار" تركز في معظمها على "القطيعة المعرفية" و"الإبستمولوجيا" دون التعريج على "فلسفة الرفض" والخوض فيها ببحث مستقل من كل جوانبها، وهي الفلسفة التي أفرد لها "باشلار" نفسه كتابا مستقلا سنة(1940م) بعنوان " فلسفة الرفض La Philosophie du Non (مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد)"، لا بالتركيز هنا على هذه الفلسفة دراسة وصفية بل نعني تلك الصراعات الفكرية بينه وبين غيره والتي بسببها تميزت فلسفته، ولم تنتبه لها الدراسات السابقة وتركز عليها بالبحث.

بالإضافة إلى أسباب أخرى ذاتية، ترتبط بالرغبة الشخصية في فهم الفلسفة الغربية المعاصرة وبالضبط الدراسات الإبستمولوجية منها، من أجل الإحاطة بالنظريات العلمية المعاصرة ودور الفلسفة وأهميتها في الفكر العلمي المعاصر.

أهداف الدراسة

. محاولة فهم السياق التاريخي والعلمي لتطور إبستمولوجيا "باشلار".

. محاولة ضبط المفاهيم الإبستمولوجية الأساسية في فلسفة "باشلار".

. محاولة تحديد مكانة إبستمولوجيا "باشلار" في ظل النظريات العلمية المعاصرة.

الصعوبات:

لا تخلو أي محاولة في البحث العلمي من الصعوبات، وقد تكون هذه الأخيرة في جانب كما قد تكون في عدّة جوانب، ومن هذا المنطلق يمكن تلخيصها في صعوبة تحديد بعض المصطلحات الفلسفية التي نحتَها "باشلار" وأدخلها في فلسفته، ثم تلك النقاشات الحادة التي كانت بينه وبين علماء وفلاسفة في تخصصات مختلفة كانت عائقا حقيقيا في فهم تلك النظريات العلمية التي تحتاج إلى دراسة معمقة ومختصين في العلم والفيزياء من أجل فهمها أولا، وفهم النقاشات الحادة الدائرة حولها ثانيا، ثم النظر في سياقها التاريخي الذي من خلاله فقط يستطيع الباحث تحديد رأي "باشلار" من فكرة معينة إذ يمكن له أن يغير رأيه في كل مرحلة بحثية.

خطة البحث:

وقد تم انجاز مذكرة البحث في مقدمة عامة وثلاثة فصول وخاتمة بها نتائج البحث، أما الفصل الأول حول السياق التاريخي والعلمي لتطور فلسفة "باشلار"، حيث شرحنا في المبحث الأول منه التطور الفكري لـ"باشلار"، مع بيان أن الفلسفة لا تكون فلسفة حقيقية إذا كانت تهتم بعالم المثل والماورائيات، وأهمية المنهج العقلاني والتجريبي في فلسفته الإبستمولجية، مع التركيز على خلفيته العلمية التي تأسست مع أستاذه المشرف عليه في الدكتوراه "ليون برونشفيك"(Léon Brunschvicg 1899- 1944م). وكيف كانت فلسفته

مفتوحة، لنحاول فهم تطور الفلسفة وهل هو مرهون بنوعية الأسئلة التي يطرحها العلم؟ وأما المبحث الثاني ففيه السياق العلمي لتطور ابستمولوجيا "باشلار"، مع بيان قيمة المفهوم الجديد لفلسفة العلم، وكيف يمكن إعادة تكوين فكر علمي قائم على فلسفة النفي، من أجل "العقلية العلمية أو الرياضية أو التطبيقية"، وهل الأسبقية للعقل أم التجربة؟ فيما كان المبحث الأخير في بحث العقلانية الكلاسيكية والوضعية المنطقية، ببيان "العقلانية المنفتحة" التي تحضّ العقل على رفض الأفكار الأولية المسبقة والبداية معها في العلم تكون دائما من الصفر. مع خلاصة للفصل نذكر فيها أهم ما توصلنا إليه.

أما الفصل الثاني فقد جاء فيه مدخل وثلاثة مباحث وخلاصة، في ضبط "المفاهيم الإبستمولوجيا الأساسية في فلسفة "باشلار"، حيث جاء المبحث الأول في الإبستمولوجيا وفلسفة العلم عند "باشلار"، وفيه معنى الإبستمولوجيا لغة واصطلاحا، وأول من نطق بهذا المصطلح، وذكر اهمية "باشلار" في التفريق بين هذا المصطلح وفلسفة العلم من جهة، ونظرية المعرفة من جهة أخرى، مع التفريق بين الإبستومولوجيا بالمعنى العام والخاص. أما المبحث الثاني فتناول "القطيعة المعرفية والعائق الإبستمولوجي"، وفيه شرح معنى القطيعة المعرفية عند "باشلار"، وأن لها معنيان، الأولى الخاصة بالقطيعة بين المعرفة العلمية والعامية، والأخرى ذاتية، تعني المعرفة القبلية التي توجد في عقل العالِم نفسه، ثم مستوى فالأول (هو الفكر العلمي الجديد)، والمستوى الثاني (الفكر العلمي القديم). وأنواع العوائق الخمسة. أما المبحث الثالث ففي مفهوم فلسفة النفي(الرفض)عند "باشلار"، وبيان أنها لا تعني مذهبا فلسفيا سلبيا، يرفض فقط الأفكار ويعارضها، بقدر ما هي فلسفة تصحح العلم، وتؤسس له، فلسفة تستهدف منظومات متراكبة. وخلاصة حول الفصل فيها أهم نتائج هذا الفصل.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان: مكانة ابستمولوجيا "باشلار"، وفيه مقدمة للفصل وثلاثة مباحث وخلاصة، جاء المبحث الأول في بحث مكانة ابستمولوجيا "باشلار" العلمية، وفيه يذكر "باشلار" قيمة فلسفته، بأنها فلسفة تود أن تكون متكيفة حقّ التكيف مع الأفكار

العلمية الدائمة التطور. أما المبحث الثاني: فهو في انعكاسات ابستمولوجيا "باشلار" على الفلسفة المعاصرة، بدء من "غاستون باشلار" والتحليل النفسي، وأثر الإنفعلات النفسية على الموضوعية والبحث العلمي، بالإضافة إلى أثر فلسفته على تواصلية "هابرماس"، من جهة أن التواصلية ليست للأفكار الميتة التي معها تكون القطيعة المعرفية. والمبحث الثالث فكان في نقد فلسفة "باشلار"، من جهة أنه بدأ مشروعه بالتأثر بـ"ديكارت" في إطار فكر قلق، يلتمس موضوعا، من خلال التصور الابستمولوجي الباشلاري. وخلاصة للفصل.

وخاتمة للمذكرة وفيها أهم نتائج البحث.

الفصل الأول:

السياق التاريخي والعلمي لتطور ابستمولوجيا "باشلار"

محتوى الفصل الأول:

. تمهيد.

المبحث الأول: التطور الفكري لباشلار

المبحث الثاني: السياق العلمي لتطور ابستمولوجيا باشلار

المبحث الثالث: العقلانية الكلاسيكية والوضعية المنطقية في فلسفة باشلار.

خلاصة.

تمهيد:

سنحاول في هذا الفصل بيان السياق التاريخي والعلمي لتطور فلسفة "باشلار"، مع بيان أن الفلسفة الحقيقة هي تلك التي لا تهتم بما وراء المادة، ومن هنا سنبرز أهمية المنهج العقلاني والتجريبي في فلسفته الإبستمولجية، مع التركيز على خلفيته العلمية التي تأسست مع أستاذه المشرف عليه في الدكتوراه "ليون برونشفيك"(Léon Brunschvicg 1899-1944م). وكيف كانت فلسفته مفتوحة، لنحاول فهم تطور الفلسفة وهل هو مرهون بنوعية الأسئلة التي يطرحها العلم؟ كما سنحاول توضيح السياق العلمي لتطور ابستمولوجيا "باشلار"، مع بيان قيمة المفهوم الجديد لفلسفة العلم، وكيف يمكن إعادة تكوين فكر علمي قائم على فلسفة النفي، من أجل "العقلية العلمية أو الرياضية أو التطبيقية"، وهل الأولية للعقل أم التجربة؟

المبحث الأول: التطور الفكري لـ"باشلار":

المطلب الأول: مهمة "غاستون باشلار" الفلسفية:

"تبدأ الأعمال الإبستمولوجية لبشلار مع البحثين اللذين تقدما بهما لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، الأول: بحث في المعرفة التقريبية، والثاني في تطور مشكل في الفيزياء: الإنتشار الحراري في الجوامد"[1]، وعليه فإن ما يُشاع حول فلسفة باشلار من أنها تهدم ولا تبني هو إدعاء باطل، ذلك أنّ مهمة "غاستون باشلار"*، الفلسفية ليست في تحطيم العقل[2] بقدر ماهي فلسفة تريد إعادة بناء وهيكلة العقل علميا ومنهجيا "وذلك بتغيير مساره التقليدي الذي ينطلق من العقل إلى العلم، من نتائج العلم إلى العقل أو إلى الموقف الفلسفي"[3]، وهذا التأسيس من "باشلار" يعني أن الفلسفة لا تكون فلسفة حقيقية إذا كانت تهتم بعالم المثل والماورائيات وغير ذلك من المواضيع. بل الفلسفة الحقيقية هي التي تكون متطابقة مع الفكر العلمي، وهذا يكون عن طريق تتبع الفلسفة الدائم لتطور العلم وهو ما نسميه بفلسفة العلم[4].

---

[1] – جمال بوغالم: ابستمولوجيا باشلار بين الفلسفة والعلم (الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والغنسانية، عدد 21، 2019م) ص: 157.

*"غاستون باشلار"(Gaston Bachelard) فرنسي. جاء في موسوعة "عبد الرحمن بدوي" مترجما له بأنه: فيلسوف علوم فرنسي، ولد في منطقة بار على نهر الاوت في سنة 1884م. وتعلم في مسقط رأسه، له كتاب ترجم فيه لنفسه بعنوان "لهيب شمعة"، وبعد دراسته في الثانوية عمل موظفاً في البريد حتى سنة 1913 حيث حصل على الليسانس في الرياضيات والعلوم، وفي أثر ذلك عين مدرساً للفيزياء والكيمياء في مدرسة (بار)، ثم حصل على الدكتوراه في الادب (قسم الفلسفة) في السوربون عام 1927، وفي سنة 1930 أصبح أستاذاً للفلسفة في جامعة (ديجون)، ثم أستاذاً لتأريخ العلوم وفلسفتها في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة (السوربون) الى وقت تقاعده في سنة 1954م" وتوفي باشلار عام 1962 في باريس. وحول مؤلفاته فهي تدور حول موضوعين أساسين هما: نظرية المعرفة العلمية والنزعة الشعرية المقترنة بالتحليل النفسي، والموضوعان مترابطان.

تم تلخيص الترجمة من: عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة (الاردن، عمان، ط1، 1996م) ج1 ص: 292– 392. وحنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3. 2010م)ج1: ص 259.

[2] – إمانويل كانط: نقد العقل المحض ترجمة: موسى وهبة (مركز الإنماء القومي، بيروت– لبنان، 1988م) ص36.

[3] – عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة: (منشورات الإختلاف: الجزائر، ط1: 2005م) ص: 71.

[4] – يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة– مصر، 2014م) ص: 13.

ولهذا يضيف قائلا: "منذ بداية تأملاتنا حول دور محتمل حول فلسفة العلوم، اصطدمنا بمشكلة يبدو لنا أنها طرحت طرحا خاطئا من قبل العلماء والفلاسفة معا، هذا المشكل هو مشكل البنية وتطور الفكر، فالعام يعتقد أنه يمكنه الانطلاق من فكر بلا بنية وبلا معرفة في حين أن الفيلسوف غالبا ما يطرح فكرا مكونا (مؤسسا) ومزودا بكل المقولات الضرورية لفهم الواقع"[1].

فمن خلال كلام "باشلار" الأخير نفهم أنه قد قام بتتبع تاريخ العلم وأنه ومن خلال دراسته لهذا التاريخ تبين له أن الفلاسفة والعلماء الذين كانوا قبله لم يفهموا معنى فلسفة العلم[2] بالشكل الصحيح بل طرحوها طرحا خاطئا والسبب في هذا أن الخطأ الأصلي كان في مفهوم العلم نفسه وفي مفهوم الفلسفة نفسها، بل في بنية العلم وبنية الفلسفة معا، حيث أن العلم كان يتوهم أنه يستطيع أن يبحث عن المعرفة من دون أن يحتاج إلى فلسفة تؤطره ومن دون أن يحتاج إلى بنية (القواعد، القوانين...)، والفلسفة هي الأخرى بدورها فيها مشكلة البنية حيث أنها كانت تعتقد أنها تستطيع أن تفهم الواقع من طريق المقولات الفلسفية وعلوم المنطق وطرق الاستدلال، وبهذا يكون قد انتقد العلماء والفلاسفة معا كما انتقد بنية العلم وبنية الفلسفة أيضا معا.

المطلب الثاني: نظرة "غاستون باشلار" للمذهبين العقلاني والتجريبي:

انّ نقد باشلار للمذهبين العقلاني بزعامة "رينيه ديكارت"(René Descartes 1596-1650م) صاحب الفكر الميكانيكي "(أي يأخذ بالفكر الميكانيكي)، فهو إذا كان يقول بوجود درجتين من الوجود: العقل والمادة، إلا أنه يرى أن الحقيقة غير العقلية تختزل بأسرها، أي تعود، إلى مفاهيم ميكانيكية خالصة (الوضع، والحركة، والدفع)... وفي الوقت نفسه يعتمد الإتجاه الذاتي، حيث أن الواقعة الأساسية ونقطة البدء الضرورية للفلسفة في نظره، إنما هي

[1] - G. Bachelard la philosophie du non, Essai d'une philosophie du nouvel Esprit scientifique, Edition P.U.F paris 1973. p.p 9-10

[2] - علي حسين كركي، الابستمولوجيا في ميدان المعرفة (شبكة المعارف، ط1، لبنان، 2010م) ص: 122.

الفكر. بل ويأخذ بالمذهب الإسمي أيضا إذ لا يوجد معرفة معرفة حدسية بالعقل، وإنما هناك وحسب إدراك حسي للجزئيات. وكان خصما عنيفا للمنطق الصوري، ولا يعتد بأي منهج كون وحده خاصا بالفلسفة"[1]، وهذا بالضبط ما يتأثر به "باشلار" حين يحارب المنطق الصوري ويجعل فلسفته مفتوحة، وفي الوقت نفسه ينتقد "المذهب العقلاني" من جهة إنغلاقه على نفسه كنسق فلسفي متكامل لا يقبل النقد ولا الأفكار الحسية[2]، وأنها كلها معرضة للخطأ والحواس تخدعنا، بل يرفض الأنساق جميعا من جهة أن الإنسان نفسه كائن عاقل وحسي في الوقت نفسه، ولو أبطلنا الجانب الحسي منا لأصبحنا جمادات، بل الحسّ هو الذي يعطينا المعارف الأولية التي من خلالها يستطيع العقل أن يفكر ويحكم على تلك المحسوسات قيميا، فلا يمكن للعقل مثلا أن يعطينا تعريف اللون أو التفريق بين الألوان عقليا، أو ذوق الماء من الملوحة وضدها إلا بحاسة الذوق، ومهما شككنا في حاسة الذوق فبالعقل وحدة لن نستطيع التفريق بين الماء المالح وضده مثلا.

بينما نجد الفلاسفة "الإنجليز" يقبلون الإتجاه الميكانيكي من جهة توافقه مع المذهب التجريبي، ثم يوسعون تطبيقه على العقل، "وقد وجدت هذه الأفكار على نحو غير واضح عند "فرانسيس بيكون"(بالإنجليزية: Francis Bacon/ 1561– 1626م) مؤسس المنطق التجريبي، ولكنها كانت واضحة جدا وبشكل منظم مع "جون لوك" و"جورج باركلي" (George Berkeley/ 1685– 1753م)، و"دفيد هيوم"(David Hume/ 1711– 1776م)، صاحب الشك المطلق، الذي يرى بأنّ "محض وجود عالم حقيق لا يقوم إلا على الإعتقاد"[3]، باعتماده على الإيمان طبعا، وهي الفلسفة التي تنتقدها العلوم الطبيعية والتصور المادي للأفكار، ذلك المذهب الذي بشر به من قبل "توماس هوبز" (Thomas Hobbes/ 1588– 1679م)، هذه المادية وتلك الشكية المطلقة انتقدها "باشلار" هي الأخرى، ليؤسس مستقبلا

[1] – م، بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزّت قرني (عالم المعرفة، الكويت، 1992م) ص: 24.

[2] – هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (دار التنوير– بيروت، ط3، 2007م) ص: 73.

[3] – م، بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا: ص: 26.

لما يسمى بـ"العقلانية التطبيقية". فهو ينتقد المذهب التجريبي، الذي يعتقد أن أصل المعرفة هي الحواس أو التجريب ومنهجه هو الإستقراء بنوعيه "الكلي والجزئي" والذي يعتمد على الملاحظة والفرضية العلمية والتجربة في المخبر العلمي، فبين "باشلار" في فلسفته بأن هذا العداء لا فائدة منه من جهة أن العلم لا يهتم بأصل المعرفة (العقل أم التجربة) بقدر ما يهتم بتطوره، وبهذا كان على العلم المعاصر أن ينفتح عن الفلسفة التي تبحث في "مبادئ العلم، وفروض العلم، ونتائج العلم".

المطلب الثالث: نشأة فلسفة "غاستون باشلار":

إن فهم فهم "باشلار" يستلزم النظر في نشأته العلمية وتوجهه المعرفي وكيفية بحثه وتتبعه للنظريات المعاصرة له، ونوعية العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين تأثر بهم، وعلى رأسهم "ليون برونشفيك"(Léon Brunschvicg 1899- 1944م) الذي كان مؤطّرا ومشرفا على أطروحة دكتوراه "باشلار"، لهذا يعد الأستاذ الفعلي المؤثر بشكل مباشر في "فلسفة الرفض"، فنجد أن "باشلار" منشغل بفلسفة العلم التي كان منشغلا بها "برونشفيك"، ويعارض ما كان يعارضه في فكر "مايرسون" من جهة أن العلم عند "باشلار" وأستاذه "برونشفيك" لا يبحث في الأشياء الثابتة بل يضعنا أمام المعطيات المفتوحة[1]، لأن العلم في تطور مستمر يصحح أخطاءه ويتطور ولا يتوقف أبدا، تلك الحقيقة التي يعرضها "باشلار" في كتابه "الفكر العلمي الجديد"، ثم يطورها في المؤلفات الأخرى منها "العقلانية التطبيقية" و"فلسفة الرفض".

وعليه فإنّ "قيمة باشلار تنحصر في أنه ابتكر طريقة ثالثة مغايرة، عن مفهوم الإنتقائية (مذهب عقلاني أم تجريبي)، فكان موقفه الفلسفي أكثر انفتاحا على العلم والعقل معا، فهو يطلب من الفلاسفة أن يتنازلوا عن الأفكار المثالية المرسومة مسبقا وخير مثال على ذلك تطبيق "كارل ماركس"[2] لمفهوم الجدل الذي أخذه من (هيغل) ثم طبقه في العالم

[1] – السيد شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، دراسة نقدية مقارنة (دار التنوير، بيروت– لبنان، ط1: 1993م) ص 121.

[2] – م، بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا: ص: 96.

المادي وليس في العالم المثالي"[1]. وهذا ما يوصلنا إلى فهم فلسفة "باشلار" العقلانية أو الجانب العقلاني من فلسفة "باشلار" التي تختلف عن عقلانيات باقي الفلاسفة، حيث يشرح كيفية تمييز عقلانيته العلمية بأنها تلك التي تسعى إلى أن تكون مفتوحة عكس الفلسفات الأخرى التي تقدس ذاتها بأنها تملك "حقائقها وكأنها شاملة ومكتملة"[2].

[1] – عمر مهيبل: اشكالية التواصل. ص: 75.

[2] – G Bachlard: la philosophie du non, p12

المبحث الثاني: السياق العلمي لتطور ابستمولوجيا باشلار

المطلب الأول: الفلسفته المفتوحة:

انّ فلسفة "غاستون باشلار" فلسفة مفتوحة تدخل إليها من طريق الخيار العقلي أو فلسفة الرفض أو الفكر العلمي الجديد أو من غير ذلك من المداخل[1]. فهو يعرض أفكاره في الجانب المنهجي متأثرا بـ"مقالة الطريقة" للفيلسوف "ديكارت" كما في كتابه "الفكر العلمي الجديد"، ثم تطوير بحثه في المنهج العلمي على التعاقب في مؤلفاته الأخرى منها "العقلانية التطبيقية" و"فلسفة النفي(الرفض)"، ثم في "تجربة المكان في الفلسفة المعاصرة"، لينتقل بعد ذلك إلى بحث العقل والفيزياء في "الفعالية العقلانية للفيزياء المعاصرة" مع "بحث في المعرفة التقريبية"، منطلقا في هذا من "النزعة العقلية التطبيقية" مبيناً كيف تتطابق النزعة العقلية مع النزعة التجريبية بدلا من التركيز على أصل المعرفة والخوض فيه بلا فائدة علمية[2]، متأثرا في هذا بالفيلسوف النقدي "إموانيل كانط".

وعليه فإنّ "باشلار" يميز بين النظريات العلمية المعاصرة ومثلها من نظريات سابقة، وهذا التمييز يعتمد فيه على تاريخ العلم، كما ويلاحَظ في فكره أنه يعتقد بأن الفلسفة لم تتطور بتطور العلم لأسباب كثيرة، منها اهتمام الفلاسفة النسقيين بالأفكار المثالية وعدم خوضهم في الأفكار العلمية جراء تكرار مباحث أصل الكون وأصل المعرفة ونحو هذه المباحث الكلاسيكية، وهو ما جعله يدرك طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم على غرار السائد آنذاك في فرنسا من أفكار الفلسفات الروحية والمثالية والعقلانية مثل فلسفة "برغسون"، والتي تندرج ضمن تيار فلسفي مناهض للعقلانية والمادية[3]، لتؤسس لفلسفة الحياة البعيدة عن تجريدات العقل، والمجاوزة لقوانين العلم التي صيغت وفق المادة، من هنا جاءت فلسفته لصياغة مفاهيم تتناسب مع الميتافيزيقا، كالحرية، والأخلاق، وهي الفلسفة الملخصة في

---

[1] – عمر مهيبل في كتابه: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة. ص: 21.

[2] – وحول نشأة الفلسفة العلمية أنظر: هانز رايشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكرياء (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1979م) ص123.

[3] – غاستون باشلار: العقلانية التطبيقية: ص 37– 38.

كتابه "التطور الخلّاق" الكتاب الذي صدر سنة (1907م)[1]، وفيه "يصبح برغسون رئيسا لمدرسة فلسفية، وتحيط به عقول كبيرة تناصره إلى مدى قد يزيد أو يقل... ومع ذلك فلم تستطع الفلسفة البرغسونية القضاء نهائيا... على المذاهب القديمة التي تبقى فعالة ومؤثرة إلى جانبها"[2] وهي الفلسفة الحيوية التي يستفيد منها "باشلار" ويكيفها حسب نسقه ليطور فلفسته العلمية.

المطلب الثاني: مشروع باشلار الفلسفي:

إن تطور الفلسفة مرهون بنوعية الأسئلة التي تطرحها في العلم، وأن تبتعد عن بناء الأنساق المغلقة، التي تستهلك الوقت في تفريعات فارغة لا معنى لها مثل البحث في أصل المعرفة هل هو العقل أم الحس؟ السؤال الذي تجاوزه "إمانويل كانط" بفلسفته النقدية، مبيّنا أن الواجب ليس الخوض في أصل المعرفة بل الواجب على الفلسفة أن تثور على كل المفاهيم الكلاسيكية وأن تتجاوزها بالنقد، وتهتم بالإنسان كما فعلت الفلسفة الوجودية[3] مع "مارتن هيدغر"(الوجودية الملحدة) و"سورين كيركغارد"(Søren Kierkegaard / (1813-1855م) (الوجودية المؤمنة)، بل وتبحث فيما يتطلبه العلم من مناهج علمية تساعد في البحث عن الحقيقة في صورتها العلمية.

أي أن المشروع "الباشلاري" غايته إعادة تشكيل الإطار المعرفي الفلسفي من أجل قراءة العلم ومنجزاته قراءة قائمة على أصول منهجية علمية معاصرة، لأن العلم ينتج عقلانيته أو فلسفته الخاصة القائمة على تجاربه وأخطائه، وتشكيل هذا الإطار إنما يتم بإعادة الإعتبار للمنهج الحسي في مقابل النظري أو المنطق التجريبي الفعال بتعبير "فرانسيس بيكون" في مقابل المنطق الأرسطي الصوري الذي تعد مباحثه تجريدية محظة، وبمعنى آخر إعادة إدخال الواقع العيني –بتعبير "فريدريش هيجل"– ضمن أهم مهام الفلسفة عكس ما كانت

[1] – يحي هويدي: مقدمة عامة في الفلسفة (دار الثقافة، القاهرة– مصر، ط9: 1989م) ص: 152. وأيضا: مجاهد عبد المنعم مجاهد: مدخل إلى الفلسفة (دار الثقافة، مصر، من دون سنة طبع) ص: 129.

[2] – بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص: 53.

[3] – حمد محمود ربيع: مناهج البحث في العلوم السياسية (مكتبة فلاح، الكويت، من دون سنة طبع) ص: 137– 138.

تهتم به من قبل في مسائل ميتافيزيقية وأصبح هذا هو المطلوب من الفيلسوف الحقيقي، وهذا ما دفع "باشلار" الى ربط العالم الداخلي (عالم الأفكار، عالم النفس، عالم العقل) بالعالم الخارجي (عالم الواقع، عالم الحسّ) وهو الموقف العقلاني "الباشلاري" الذي يجمع بين النظري والحسي، لأن قوانين العلم في نهايتها هي ابتكار عقلي. ومنه نقول بأنّ "كل حقيقة علمية تجد لها موقعا في تجاويف البنية العقلية للإنسان، إذ المهم عنده هو أن يبين أن نشاط العقل هو العنصر الحاسم في أي عمل علمي وليس التجربة كما قد يعتقد"[1].

وعليه فإنّ "باشلار" يرى أن قيمة الفلسفة تكمن في اتصالها الدائم بالعلم، ذلك أن "العلم بدون تأطير فلسفي نظري يحيد عن طريقه، والفلسفة بدون العلم تفقد اتصالها بالواقع لتصبح مثالية"[2]، وهذا لايعني أن الفلسفة لا يجوز لها الاهتمام بالميتافيزيقا أو غير مرتبطة بها بل الميتافيزيقا جزء من الإنسان كونه دائما يفكر في ما وراء الطبيعة بحثا عن معرفة المجهول والغيبيات، وهنا تظهر قيمة الفلسفة "الباشلارية" في أنها مدافعة عن العلم خاصة فيما يتعلق بحل المشاكل النظرية الكبرى التي تعتري طريق العلم، وعليه فإن فصل العلم عن الفلسفة يضر كلاهما بالنسبة إلى "باشلار".

المطلب الثالث: التأسيس الفلسفي عند باشلار:

وهكذا يحاول "باشلار" أن يؤسس مفهوم جديد لفلسفة العلم بإعادة تكوين فكر علمي قائم على فلسفة النفي (فلسفة الرفض أو فلسفة اللا)، ومن خلال هذا المشروع سيقوم بإدماج تصوراته العلمية بتحديد الإطار الابستمولوجي[3] الجديد، الذي تنتظم فيه المعرفة الجديدة من جهة أن التقدم العلمي المعرفي الإبستمولوجي هو في نهايته انتاج للقيم أكثر منه تراكما علميا – كل ما هو واقعي عقلي وكل ما هو عقلي واقعي – "باشلار" كفيلسوف علم يحاول انتقاد المذهب العقلاني بشكل عام، وينقد المسلمات العقلانية المتمثلة في القول بوجود

[1] – عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة: ص: 47.

[2] – المصدر نفسه: ص 47.

[3] – سيد شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم دراسة نقدية (دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1: 1993م) ص: 122– 123.

معارف أو مبادئ أو أفكار أولية سابقة عن التجربة الحسية، كما وينتقد أيضا وفي الوقت نفسه المذهب التجريبي القائم على مسلمة المعرفة الحسية من جهة أن الطفل يولد صفحة بيضاء، ثم يتعلم عن طريق التجربة وفقط كما يقول "جون لوك"، ولرفضه للنزعتين العقلية والحسية متشبها بالفيلسوف "كانط" في نقده للمذهب العقلاني بتأليفه لكتاب "نقد العقل الخالص"(Critique de la raison pure)، ونقده للمذهب التجريبي في كتابه "نقد العقل العملي"(Critique de la raison pratique).

ومنه نفهم بأنّ "باشلار" حاول التأسيس لفلسفته المتمثلة في "العقلية العلمية أو الرياضية أو التطبيقية"، وهي ثلاثة مفاهيم تؤدي إلى المعنى نفسه، وفلسفته في النهاية قائمة على الحوار بين العقل والتجربة مع استحضار ضميمة عدم الانطلاق من مسلمات المذهب العقلي والتجريبي، وبالتالي أسس لواقع علمي جديد أو بنية علمية جديدة من خلالها تم رفض الفيزياء الكلاسيكية[1]. مع استحضار أن "باشلار" ينطلق من أولوية "العقلي" إلى أولوية "الحسي"، أي الأولوية للجانب النظري على الجانب التطبيقي[2]. ذلك أنّ العقلانية ليست واحدة عند "باشلار" وفي هذا المعنى يقول: "بما أننا نريد أن نميز العقلانية من حيث قدرتها على الانطلاق والامتداد يصير من الضروري أن نمتحن الميادين العلمية"[3]، وهذا ما يذهب إليه عامة شراح "باشلار" ممن تناول فلسفته بالدراسة. ومنه نفهم أن "باشلار" ينظر إلى الممارسة العلمية نظرة قائمة على التبسيط.

[1] – باشلار: العقلانية التطبيقية، ترجمة: بسام الهاشم (دار الشؤون الثقافية العامة، بيروت، ط1: 1984م): ص 56.

[2] – محمد وقيدي: العلوم الإنسانية والإيديولوجية (دار الطليعة بيروت ط1، 1983م) ص141.

[3] – G Bachlard. l'engagement rationalité, edition, P.U.F ,Paris,1972, p 122.

المبحث الثالث: العقلانية الكلاسيكية والوضعية المنطقية في فلسفة "باشلار".

المطلب الأول: العقلانية الكلاسيكية:

من المعلوم أن العقل في تطور فكري دائم، منذ نشأة الفلسفة وظهور المنطق كعلم مستقل مع اليونان وتجسده في فلسفة الأيونيين، ولما كثرت المغالطات الفكرية مع "السفسطائيين" جمع "أرسطو طاليس"(384– 322 ق.م) هذه الأفكار في "الأورغانون" من أجل ضبط الفكر، ومنذ ذلك الزمن والبحوث المنطقية والرياضية في تطور إلى وقت ترجمة الفلسفة إلى الحضارة العربية مع "الكندي"(1917– 1963م)، و"أبي نصر الفارابي"(260– 339هـ/874– 950م) وابن سينا (370–427هـ/980– 1037م) وظهور الشكّ العقلي مع "أبي حاد الغزّالي" وشروحات "ابن رشد الحفيد"(أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن أحمد بن رُشْد الأندلسي المعروف بابن رُشْد الحَفِيد (520 – 595هـ/ 1126– 1198م)، إلى وقت "ديكارت" و"كانط"، كلها تعتبر عقلانية الكلاسيكية[1]، وهي تلك التي تزعم أن العقل عبارة عن جوهر متكامل في نفسه، فيه المبادئ الأربعة "الهوية، والثالث المرفوع، وعدم التناقض مع المبدأ الاخير المتمثل في السببية، كل هذا مع الأفكار الفطرية وأن العقل يُنتج معرفته بنفسه ردًّا على التجريبية الحسية، بل ويستنبط الأفكار ويُنتج العلوم ويستخرج المعارف ويستخلص القوانين الرياضية وخير دليل على ذلك اختراع للهندسة الإقليدية القائمة على البديهيات الخمسة مع المسلمات الخمسة.

والتي لا تتحقق في الهندسة اللاإقليدية (géomètre non– Euclidienne) مع العالم الروسي "نيكولاي لوباتشيفسكي"(Nikolaï Ivanovitch Lobatchevski /1792–1856م)، والألماني "جورج فريدريك برنارد ريمان" (Bernhard Riemann/ 1826– 1866م)[2]. وهذا الأمر في الهندسة غيّر النظرة إلى الواقع المادي وكيفية نظرة العلم للفيزياء، وأن الأمر يتغير

[1] – بيار ماشيري: أوجست كونت: الفلسفة والعلوم، ترجمة: ساهم أدهم (المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت– لبنان. ط1، 1994م) ص: 116.

[2] – محمد عابد الجابري: تطور الفكر الرياضي (دار الطليعة، بيروت، 1982م) ص42.

بتغير المستوى والمسلمات والبديهيات، فقواعد الهندسة اللاقليدية تختلف جذريا عن الإقليدية، وبالتالي فالفيزياء النيوتنية تختلف بالضرورة عن الفيزياء "اللانيوتنية" التي نفهم منها في النهاية بأنه لا شيء مطلق، وحقيقي بشكل نهائي، بل كل المعارف خاضعة لإعادة النظر والتمحيص والتجريب، والتأكد منها كأن لم تكن ومن دون أي أفكار قبلية حول الفيزياء أو الرياضيات أو الكيمياء أو أي علم، وبالتالي أصبح المنطق الأرسطي أكثر تعميمة وأبعد عن العلم، وجب اختراع منطق من خلاله نعيد وزن المعارف التي نسميها علمية لنستخرج اللاعلمية ونحتفظ بالعلمية.

ومن هنا تظهر المهام الأساسية للابستمولوجيا الباشلارية في القيمة الابستمولوجية للهندسات اللاأقليدية[1]، كونها تقدم تصورا جديدا للمكان، ولكن ثمة شروط علمية يجب توفرها في "فسلفة العلم" ومن خلالها فقط نتمكن من إبراز القيم الابستمولوجية التي سينتجها العلم أو أنتجها من قبل عبر تطوره[2].

المطلب الثاني: العقلانية المنفتحة:

"العقلانية المنفتحة" التي تحضّ العقل على رفض الأفكار الأولية المسبقة والمبادئ الأرسطية والبداية من الصفر، وأن الفروض العلمية كلها متساوية في القيمة العقلية. ومنه نفهم بأنّ "باشلار" يعني بأن عقلانيته عقلانية تطبيقية في حين أن عقلانيات غيره ليست كذلك، والفرق بينهما أن الكلاسيكية منهما تزعم –حسب باشلار– أنها تملك مبادئ ثابتة من خلالها تصل إلى الحقيقة بينما هي في حقيقتها فلسفة فارغة لا معنى لها، في حين أن عقلانيته (العقلانية التطبيقية).

فالعقلانية التطبيقية في فلسفة "باشلار" لا تقل أهمية بالنسبة للجانب النظري منهما، مع استحضار الفرق المهم بينهما في أن الجانب العقلاني يكاد يكون واحدا، أما التطبيقي فهو متعدد بحسب الميدان المدروس، فهناك عقلانية رياضية وعقلانية فيزيائية وغير ذلك

[1] – كلام "بول موي: المنطق وفلسفة العلوم، تر: فؤاد زكريا (دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.س) ص 118.

[2] – علي حسين كركي: الابستمولوجيا في ميدان المعرفة (شبكة المعارف، بيرو– لبنان، ط1، 2010م) ص: 122.

حيث أن كل ميدان من ميادين المعرفة سيتكيف أو سيطلب منهجا خاصا به، فهذا المنهج مع الجانب النظري للعقلانية سيشكل عقلانية تطبيقية خاصة به، فالمنهج العلمي الرصين أو البحث العلمي السديد سيتطلب هذا التنوع ويرفض التعميم، فمثلا منهجية البحث التاريخي تختلف عن منهجية البحث الاجتماعي، كما تختلف منهجية البحث الفيزيائي أو الكيميائي أو الرياضي وكل ما تخصص يستلزم منهجا محددا خاصا به، بخلاف البحث العلمي قديما والذي كان جميعه يعتمد على منهج موحد في البحث فيقال منهج "البحث العلمي" دون تمييز لمجال البحث، فتعدد المناهج العلمية يؤدي إلى الدقة العلمية وبالتالي إلى تعدد العقلانية التطبيقية وهذا بالضبط ما يعنيه باشلار بكلمة "عقلانية تطبيقية"(عقلانية مادية أو مادية عقلانية) فكلمة مادية تعني الجانب التطبيقي وكلمة نظرية تعني الجانب التنظيري من العقل، فهو في هذا النص يريد أن يبين بأن العلم قديما كانت تسيطر عليه الفلسفة المثالية وبالتالي لم يكن متحررا منهجيا.

المطلب الثالث: الوضعية المنطقية:[1]

أما الوضعية المنطقية في فلسفة "باشلار"، فنعني بها حضور تلك الوضعية المنسوبة إلى "أوجست كونت" (Auguste Comte 1798– 1857م)، أي تلك المراحل الثلاثة في الفكر البشري:

المرحلة الأولى: المرحلة الدينية: وفيها الإنسان يفسر كل شيء تفسيرا دينيا، فكل ظاهرة طبيعية يفسرها تفسيرا غيبيا، ولا يعيطيها أي تعليل سبب علمية منطقي، مثل الأمطار والفيضانات والزلازل سببها عقوبة الله للبشر، من دون دراسة الطبقات الجيولوجية للأرض وحركة الأرض ونحو هذا.

المرحلة الثانية: المرحلة الميتافيزيقية: وفيها الإنسان أصبح يفسر الظواهر الطبيعية تفسيرا دينيا علميا، أي تفسيرا من جهتين. مثل ظاهرة الامطار بأنها بسبب البخار ودرجة الحرارة وفي الوقت نفسه أنها بتقدير من الله.

[1] – بيار ماشيري: أوجست كونت: الفلسفة والعلوم، ص: 116.

المرحلة الثالثة: المرحلة العلمية: وفيها الإنسان اكتشف المنهج التجريبي وأصبح يفسر الظواهر وفقا للقوانين الطبيعية، وهو التفسير الوضعي العلمي.

فتأثر "باشلار" بهذا التقسيم، وأدخل فيها الاكتشافات العلمية، وأنها السبب في تطور العقل البشري، وجعل الفيزياء كنموذج حقيقي لتقسيم تلك المراحل، والعقل الجديد يبدأ فقط مع "فيزياء آنشتاين" في نظريتيه النسبيتين، حتى يربط "باشلار" بين الإبستمولوجيا وتطور العلوم، فأخذ بوقائع العلم وفروضه ونظرياته في الرياضيات والهندسة والفيزياء وجعلها الأصل في البناء للعقل العلمي، حتى يصل إلى "العقلانية العلمية"، ومن هنا يقول "باشلار"."أنه لامناص للعقل العلمي من أن يتكون بمواجهة الطبيعة، بمواجهة مايكون فينا وخارجنا، بمثابة الحافز والموجه للطبيعة"[1].

إن الكلام عن الوضعية المنطقية في علاقتها مع "باشلار" يتمثل في بحثها عن منطق جديد من أجل التخلص الكلي من منطق أرسطو، أو المنطق التجريبي مع "بيكون" أو المنطق الجدلي مع "هيجل"، منطقا يتماشى مع العلوم العصرية، وهي الفكرة التي تأثر بها "باشلار" وكأنه وجد فيها ضالته، فـ"الوضعيون الجدد* جماعة ذات خصائص متميزة: لهم تصورات أساسية مشتركة وهم يعالجون معا المشكلات بنفس المناهج... يعتقدون في البداية أن المنطق الجديد قد سلحهم بسلاح حاسم وناجز ضد كل المدارس الفلسفية الاخرى"[2].

لكن المشكلة الأساسية بقيت قائمة، وهي مشكلة نظرية المعرفة، فهل المنطق الجديد سيحل أصل المعرفة مثلا ويجيبنا على أسئلة العلم الثلاثة (أصل المعرفة، وحدود المعرفة، وإمكانية المعرفة)؟ بعد هذا الإشكال يأتي "هانز ريشنباخ" (Hans Reichenbach 1891–

[1] – غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي، ت:خليل أحمد خليل المؤسسة الجامعية للدراست والنشر ,بيروت لبنان ,1981 ص 21 .

[*] – "المدرسة الوضعية الجديدة هي الوحيدة التي تمثل الإتجاه التجريبي تمثيلا حقيقيا في القرن العشرين الميلادي في الفكر الغربي. وتعود أصولها إلى المذهب الوضعي التقليدي عند اوجست كونت وعند جون ستوارت مل، ومن قبلهما إلى المدرسة التجريبية الإنجليزية في القرن الثامن عشر الميلادي" بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ص: 81.

[2] – بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا. ص: 83– 84.

1953م). في مرحلة أخرى معه تبين ضعف النظرة الوضعية السابقة والنزول والتواضع العلمي الذي وجب الرجوع إليه مرة أخرى، هذا الجدل الفكري كله كانت له تأثيرات واضحة في فكر "باشلار". إضافة إلى رسالة الفيلسوف الألماني (Ludwig Wittgenstein 1889– 1951م) التي كانت بعنوان "الرسالة الفلسفية" وظهرت عام (1921م) وموضوعها "القضايا الرئيسية التي سوف تقدمها المدرسة الوضعية الحديثة من بعد... ويرى بأن معرفتنا هي نسخة من هذه الوقائع الفعلية... وعلى ذلك فإن طبيعة المنطق انه تحصيل حاصل حيث لا يقول شيئا عن الوقائع، وبالتالي أصبح المنطق فارغا، والذي يزودنا بالمعلومات هو العلوم الطبيعية"[1].

[1] – المصدر نفسه. ص: 84.

خلاصة

في خلاصة هذا الفصل نجد بأنّ "باشلار" كان مستفيدا ومفيدا، ومعالجا للمشكلات الزائفة، المشكلات التي لا معنى لها، والتي لا يستفيد منها العقل العلمي في بحث العلم، وهي تلك التي يجب رفضها وليس بحثها، بل ينبغي رفضها تماما بالاعتماد على العلم الجديد، من طريق "العقلية التطبيقية" التي تجمع كل ما هو علمي منطقي بين العلماء والفلاسفة، ففي كتابه "العقلانية التطبيقية" ينتقد اللاعقلانية المتمثلة في دخول الميتافيزيقا في العلم، إذ ان دور العلم ليس الميتافيزيقا بل الجانب المادي، لأن الفكر العلمي ليس فقط تفسير الظواهر العلمية، بل العلم حسب "باشلار"، في أصله هو بناء عقلاني من خلاله يتم تنظيم التجربة رياضيا.

الفصل الثاني:

المفاهيم الإبستمولوجية الأساسية في فلسفة "باشلار"

تمهيد.

المبحث الأول: الإبستمولوجيا وفلسفة العلم عند "باشلار".

المبحث الثاني: القطيعة المعرفية والعائق الإبستمولوجي.

المبحث الثالث: مفهوم فلسفة النفي عند "باشلار".

خاتمة

تمهيد

سنحاول ضبط "المفاهيم الإبستمولوجيا الأساسية في فلسفة "باشلار"، حيث سنشرح الإبستمولوجيا وفلسفة العلم عند "باشلار"، لغة واصطلاحا، مع ذكر أهمية "باشلار" في التفريق بين هذا المصطلح وفلسفة العلم من جهة، ونظرية المعرفة من جهة أخرى، مع التفريق بين الإبستومولوجيا بالمعنى العام والخاص. مع بحث "القطيعة المعرفية والعائق الإبستمولوجي"، والقطيعة المعرفية عند "باشلار"، وضبط مفهوم فلسفة النفي(الرفض)عند "باشلار".

المبحث الأول: الإبستمولوجيا وفلسفة العلم عند "باشلار".

المطلب الأول: الابستمولوجيا المفهوم والنشأة:

الابستمولوجيا(Epistémologie): مصطلح مركب من كلمتين هما على الترتيب: "ابستيمي Epistéme" والتي تعني العلم "Science" أو المعرفة، و"لوغوس Logos" والتي تعني "علم"، "نقد"، أو "دراسة أو نظرية وربما مقالة"[1].

ويعني المجموع: علم المعرفة أو دراسة المعرفة أو نقد المعرفة، أو علم العلم، فاللفظة تعني (مقالة في العلم أو علم العلم أو علم العلوم)، أي أنّ "الابستمولوجيا هي الدّراسة النقدية لمبادئ العلوم ولفروضها، ونتائجها بغرض تحديد أصلها المنطقي، وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية"[2].

لكن هذا تعريف "لالاند" وهو فرنسي، وفلاسفة فرنسا بشكل عام يميزون بين الابستمولوجيا وفلسفة العلم عكس "اليونان والألمان" الذين لا يميّزون بينهما، حيث عندهم الفلسفة هي الابستمولوجيا وهي نظرية المعرفة نفسها فكلها شيء واحد.

هذا ويعتبر الفيلسوف والباحث والعالم – إلى حد ما – الأسكتلندي "جيمس فريديريك فيرييه James Frederick Ferrier"(1808–1864م)، أوّل من استخدم المصطلح في كتابه "مبادئ الميتافيزيقا"، عندما فرّق بين مبحث الوجود (الأنطولوجيا) والمعرفة (ابستمولوجيا). والكلمة في استعمالها المعاصر تعني الدراسة النقديّة للمعرفة، أي البحث النقدي لأسس المعرفة ومبادئها وموضوعاتها ونتائجها وحتى قوانينها وفرضياتها.

وقد ميّز "لالاند" في "موسوعته الفلسفية" إلى التنبيه للفرق بين (méthodologie) علم المناهج. ونظرية المعرفة (théorie de la connaissance) من جهة. ومن جهة أخرى بين الابستمولوجيا، وأنها "تدرس المعرفة بالتفصيل وبشكل بعدي في مختلف العلوم والأغراض

---

[1] – لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: أحمد خليل (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ط2، 1421هـ، 2001م) ج3: ص: 1455.

[2] – lalande; Vocabulaire technique et critique de la lange philosophique; P; 293.

أكثر مما تدرسها على صعيد وحدة وبيان مسمى فلسفة العلم والتي هي فرع من فروع أو مبحث من مباحث الفلسفة، أو مباحث العلم. وعليه ففلسفة العلم ليست ممارسة للعلم بقدر ما هي حديث فلسفي عن العلم أو حول العلم، أي أنها لا تقدم معارف علمية للعقل بل تتفلسف حول العلم، أي "تتفلسف" حول المعرفة والمناهج التي توصلت إليها"[1].

وبهذا يظهر أنّ بعض الباحثين يفرقون بين فلسفة العلم والإبستمولوجا في الفلسفة بشكل عام ومنهم من يوحد بينهما، فمثلا نجد في الفلسفة اليونانية التوحيد بينهما والجميع يندرج ضمن نظرية المعرفة التي تبحث في أصل العلم وحودود العلم وإمكانية العلم، وهو التقليد نفسه في المثالثة الألمانية، بخلاف الفلسفة الفرنسية التي تفرق بين المصطلحين بحيث فلسفة العلم تعني البحث في أصل المعرفة (العقل أم الحس) وحدود المعرفة وإمكانية المعرفة[2]، والإبستمولوجيا تعني البحث في "مبادئ العلم وفروض العلم ونتائج العلم"، وهو الأمر الذي يشير إليه "لالاند" بشكل واضح في موسوعته الفلسفية إذ يقول:

إنها "تعني فلسفة العلوم، ولكن بمعنى أكثر دقة، فهي ليست الدراسة الخاصة لشتى المناهج العلمية، لأن موضوع هذه الدراسة هو علم مناهج البحث، وهو جزء من المنطق، كما أنها ليست أيضا تأليفا أو استباقا حدسيا للقوانين العلمية. إنها– أساسا– ذلك المبحث الذي يعالج نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها بهدف التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي، كما أنها تنشد تحديد قيمة هذه العلوم ودرجة موضوعيتها"[3]. ومعنى هذا أنّ:

الإبستمولوجيا تعني فلسفة العلم ولكن ليست مطابقة له حرفيا، فهي تشبهه، والفرق أن الإبستمولوجيا أكثر دقّة من فلسفة العلم. وفي الوقت نفسه تختلف الإبستمولوجيا أيضا عن "علم المناهج"، فهو يبحث منهج البحث التاريخي ومنهج البحث الفلسفي ومنهج البحث الإجتماعي ومنهج البحث النفسي ومنهج البحث الأنثربولوجي، فـ"علم المناهج" يشبه

[1] – علي يطو: فلسفة العلم والإبستمولوجيا (دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2020م) ص: 03.

[2] – الشنيطي، محمد فتحي. المعرفة (دار الثقافة، القاهرة: 1981م) ص 53.

[3] – لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، ج3: ص: 1455.

"المنطق"، أي المنطق الذي ندرس به ذلك العلم، فالفلسفة تحتاج إلى منطق من خلاله نفهمها وعلم الإجتماع يحتاج إلى منطق خاص به من خلاله نفهم علم الإجتماع، وعلم النفس يحتاج إلى منطق يتمثل في التحليل النفسي، وهكذا كل علم له منطقه، وهذا يختلف عن الإبستمولوجيا.

كما أن الإبستمولوجيا ليست أيضا تأليفا أو استباقا حدسيا للقوانين العلمية.

كما أنها تختلف عن "نظرية المعرفة"، حيث تعتبر الإبستمولوجيا مدخلا لنظرية المعرفة، فنظرية المعرفة تبحث في أصل المعرفة وحدودها وإمكانتها، وهذا ليس من عمل الإبستمولوجيا، "فالأخيرة لا تبحث في المعرفة من جهة ما هي مبنية على وحدة الفكر، كما في نظرية المعرفة، بل تبحث فيها من جهة ما هي معرفة بعدية مفصلة على أبعاد العلوم، وأبعاد موضوعاتها"[1].

بل الإبستمولوجيا في نهايتها هي ذلك المبحث الذي يعالج مبادئ العلوم وفروع العلوم ونتائج العلوم، والغرض من هذا والهدف الأساسي هو التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي، وهذا من أجل تحديد قيمة هذه العلوم ثم بعد ذلك تحديد درجة موضوعيتها.

وهذا الحرص من "لالاند" على تمييز الإبستمولوجيا عن غيرها من فلسفة العلم وعلم المناهج وعن المنهج الحدسي وعن نظرية المعرفة، إنما بسبب الخلط بينها عند الكثير من الفلاسفة، نظرا لتقارب المفاهيم بين تلك المصطلحات، ومن هنا يرى "محمد عابد الجابري" (1935– 2010م) أن "لالاند" نفسه وقع في الخلط بين المصطلحات الآنفة الذِّكر، حين جعل "علم المناهج (الميتودولوجيا)" جزء من المنطق في الثقافة الفرنسية آنذاك، أما اليوم فقد استقلت الميتودولوجيا بمنهج وموضوع وقوانين تخصها، والمنطق شيء مغاير لعلم المناهج وكلاهما مغاير لفلسفة العلم والجميع مغاير للإبستمولوجيا[2].

[1] – صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج1، ص33.

[2] – الجابري محمد عابد: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط8، 2014م) ص: 19.

المطلب الثاني: مفهوم الابستملوجيا عند "غاستون باشلار":

الابستمولوجيا بالمعنى العام: فيعني به الاعتماد على النظريات العلمية الجديدة والاكتفاء بها لأنها ناسخة للنظريات القديمة التي لم تعد تلبي حاجيات العلم المعاصر فهي كالدواء القديم الذي تجاوزه الطب باكتشاف أدوية عصرية فالمرض هو المشكلة والدواء هو النظرية العلمية بحيث يظهر في بادئ الأمر أن هناك فصلا جذريا لكن وبحسب المثال الذي ذكرناه آنفا يتبين بأن العلم المعاصر يحتوي العلم القديم، ومن الأمثلة العلمية الجادة التي تقرب هذا المعنى أن ظهور الهندسات العصرية لم ينفي دور الهندسة الإقليدية ذلك أن هندسة اقليدس وظيفتها العالم المسطح أما هندسة "ريمان" و"لوباتشوفسكي" فهي خاصة بالمستوى المحدب والمقعر، فالهندسة من حيث الجملة قد تطورت لكنها لم تهدم ماضيها بل أصبحت أكثر شمولا وأكثر مرونة[1].

وبعبارة أكثر وضوحا يمكن القول بأن الابستمولوجيا لا تعني قطع الصلة بالنظريات العلمية القديمة بقدر ما تعني أنها تنطلق من نظريات جديدة، ولهذا فهي في مراجعة دائمة لمبادئ العلم، وهذه المراجعة تعني بالضرورة الانطلاق من الأسس التي أسسها العلم حديثا ولا شك أن العلم قد غير بعض المبادئ وترك بعضها وعدل في أخرى، فلا يمكن منطقيا أن يحذف العلم كل المبادئ جملة وتفصيلا ثم يسعى لتأسيس مبادئ جديدة لينطلق منها.

أما الابستمولوجيا بالمعنى الخاص: فتعني مراجعة مبادئ العلم القديمة من طريق مبادئ العلم الحديثة، فمثلا الهندسة اللإقليدية وضعت الهندسة جانبا تركتها كما هي في دراستها للمستوى المصطلح وأسست لمبادئ جديدة هي المستوى المقعر والمستوى المحدب وبالتالي اختلفت المبادئ وأصبحت لكل هندسة مبادئها فالإقليدية تعني العالم الأرضي المسطح، واللإقليدية تعني الهندسة الفضائية (مستوى محدّب أو مُقعّر) وهكذا تغيرت قوانين الهندسة في شموليتها الى هندسة في جزئياتها مع المحافظة على علميتها[2].

[1] – محمد وقيدي: ماهي الابستمولوجيا" ص: 190.

[2] – جمال بوغالم: ابستمولوجيا باشلار بين الفلسفة والعلم. ص: 159.

ومن هنا يحاول "باشلار" أن يؤسس لفلسفة العلم والإبستمولوجيا انطلاقا من فكرة غياب الفلسفة الحقة، تلك التي تبحث العلم وتسائله، وليست الأخرى التي تبحث الميتافيزيقا أو التوفيق بين المذاهب الفلسفية، ولا تلك التي تحارب العلم وتقلل أهميته أو تعتقد بأن العلم لا يعنيها بقدر ما يعنيها الدفاع عن المسائل الدينية كما كان سائدا في فلسفة العصور الوسطى الكنسية –مع "أوغسطين" و"توما الإكويني" و"أنسلم"– وكل هذا بسبب عدم معرفة العقل لنفسه والتأسيس للعقلانية، ولهذا بحث أولا معنى "العقل العلمي" وكيفية تكوّنه وقال بأنّه "لا يمكن للعقل العلميّ أن يتكون إلا وهو يحطّم العقل غير العلمي، ففي أغلب الأحيان يستوثق العالِم بعلم تربوي مُجزّأ في حين يُفترض بالعقل العلمي أن يرمي إلى إصلاح ذاتيّ شامل"[1]، والإصلاح الشامل يتأسس في نهايته على تحطيم العقل القديم وبناء العقل الجديد، العقل الذي يأخذ بالتطور المعرفي ويترك المعارف القبلية وراءه، تلك المعارف التي لم تعد تلبي حاجات العلم نفسه، وحتى نفهم العقل العلمي من غيره يجب أن ننبه العلماء إلى دور العقل في العلم. ذلك أن الكثير من العلماء التجريبيين الذين ليس لهم توجه فلسفي في حقيقتهم هم علماء لا يعرفون العلم على حقيقته، ويعتقدون بأن العلم مجرد القوانين التي يتوصولون إليها بغض النظر عن المناهج التي من خلالها يتم البحث والوصول إلى تلك القوانين، فـ"في نظر العالم، تخرج المعرفة من الجهالة كما يخرج النور من الظلمة. فالعالِم لا يرى أن الجهالة نسيج من الأخطاء الوضعية، المتلازمة والمتكافلة"[2]، فهو يعرّف العلم على أساس أنه عكس الجهل وفقط، ولا ينتبه إلى نسيج الأخطاء العلمية التي وقع فيها العلماء عبر تاريخ العلم، ولو انتبه لقرّر بأن تاريخ العلم هو تاريخ أخطاء العلم، ومنه "سنطالب العلماء بحق إمالة العلم مؤقتا عن عمله الوضعي، عن إرادته الموضوعية، لكي نكتشف ما تبقّى من ذاتيّ في الطريق الأشد صرامة، وسنبدأ بطرح أسئلة على العلماء، أسئلة ذات مظهر نفساني، وشيئا فشيئا سنبيّن لهذا المظهر أن كل علم نفس متضامن مع مصادرات

[1] – غاستون باشلار: فلسفة الرفض (مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد). ترجمة: خليل أحمد خليل (دار الحداثة، لبنان– بيروت. ط1: 1985م) ص: 11.

[2] – غاستون باشلار: فلسفة الرفض. ص: 10.

غيبية، ويمكن للعقل أن يبدّل الغيبية، لكنه لا يستطيع الاستغناء عن الغيبية، إذا، سنسأل العلماء: كيف تفكرون، ماهي متاهاتكم، مباحثكم، أخطاؤكم؟ وبأي دافع تبدلون رأيكم؟ ولماذا تظلون شديدي الايجاز عندما تتكلمون عن الشروط النفسانية لبحث جديد؟"[1].

المطلب الثالث: الجانب النفسي في العلم عند "غاستون باشلار":

بيّن الجانب النفسي وعلاقته بالعلم، وأن العالِم مهما كان لابد هو متأثر بصدمات نفسية – بحسب تعبير "سيغموند شلومو فرويد" (Sigmund Freud/ 1856–1939م) – وتلك الصدمات تشكل العقل "اللاواعي"(الباطن: Unconscious) الذي يعبّر ويجيب أحيانا عن أسئلة العلم التي كان الواجب فيها أن يجيب عنها "العقل الواعي"، وغياب الجانبي الفلسفي النفسي عند العلماء التجريبيين هو ما جعلهم يجهلون أخطاءهم العلمية كما يجهلون المناهج العلمية التي أسست لها العلوم الإنسانية والإجتماعية في دراسة الظواهر، ومن هذا المنطلق نبّه "باشلار" إلى سؤالهم عن كيفية تفكيرهم وهو جانب نفسي فلسفي إجتماعي، وهو جانب أيضا يتعلق بالنفس ورغباتها من جهة أن البحث فيه جانب موضوعي وآخر نفسي يتمثل في الرغبات النفسية لبحث هذا الموضع وقد تساهم تلك الرغبات في توجيه البحث توجيها غير علميّ وتدفع بالنفس إلى اللاموضوعية[2].

لقد كانت مسائلة "باشلار" لهم من جهة أن العلماء لا يراعون الجانب النفسي الغيبي وعلاقته بالبحث العلمي، فالعالم ليس حجرا فارغا من العواطف، فالباحث مثلا في علوم الآثار وصاحب عقيدة معينة، عقيدته تلك ستوججه لا محالة للذاتية والبعد عن الموضوعية، فيغطي بعض الحقائق وينشرها لا على حقيقتها، أو لا يعطيها حقّها من البحث والتمحيص، وحين تسأل العالم التجريبي عن عقيدته يظن بأنه لا علاقة لها بالبحث العلمي، بل "يرى العلماء إنه لا جدوى من أي اعداد غيبيّ... وعليه فهم يتصورون فلسفة العلوم كبيان بالنتائج العامة للفكر العلميّ، كمجموعة وقائع هامّة. وبما أن العلم غير مكتمل على الدوام، فإنّ

[1] – المصدر نفسه: ص: 15.

[2] – جمال بوغالم: ابستمولوجيا باشلار بين الفلسفة والعلم ص: 162.

فلسفة العلماء تظلُّ دائما شبه انتقائية، دائما منفتحة، دائما هشّة"[1]، هذا فيما يخص علماء المنهج التجريبي.

أما الفلاسفة فهم أيضا مثل العلماء، أيضا نسألهم عن منهجيتهم وطريقة تفكيرهم ونظرتهم للعلم، "سنطالب الفلاسفة بحق تزويدنا بعناصر فلسفية منفصلة عن المنظومات التي ولدت في داخلها... كما أننا سنطالب الفلاسفة بالإقلاع عن الطموح لايجاد وجهة نظر وحيدة ووجهة نظر ثابتة لكي يحكموا على علم بمجمله بالغ الاتّساع وبالغ التّبدل كالفيزياء. إلى تمييز فلسفة العلوم من تعدّدية فلسفية قادرة وحدها على مدّنا بمعلومات عن عناصر الاختبار والنظرية"[2]، فكأنّ "باشلار" يلخص كلام "كارل ماركس" في محاربة الفلسفة النسقية "الهيجلية" من جهة، ومحاربة الفلسفة التي تبحث في أصل الوجود بدلا من بحثها في واقع الإنسان لتكون فلسفة عملية لا نظرية مثالية، محاربة الفلسفة التي تنطلق من نسقها ومنظومتها لتؤسس للأفكار وكأن منظومتها معصومة، ومتفق عليها بين العقول البشرية، وأنها قادرة على حل كل المشكلات الفكرية، وفي الحقيقة لا يوجد أي دليل علمي ينص على هذا الإدعاء الفلسفي، وعليه فيجب توجيه الفلاسفة إلى البحث عن مناهج علمية فلسفية قادرة على مسايرة العلم، بدلا من البحث عن مناهج موحدة للتوحيد بين الفلاسفة أنفسهم بين مثاليّ وعقلانيّ وتجريبيّ ونحو هذا، فـ"يرى الفلاسفة من جانبهم، الفلاسفة الواعون حقًّا لسلطان تناسق الوظائف الروحية وتماسكها، أنّ تأملا في هذا الفكر المتناسق كافٍ، دون أن يهتموا كثيرا في تعدّدية الوقائع وتنوعها"[3].

وبعد عرض عقلية العلماء والفلاسفة تبيّن بأنّ أغلب دراساتهم ظلّت "محصورةً، أغلب الاحيان، في نطاق طَرَفَي المعرفة والعلم: في نطاق دراسة الفلاسفة للأصول البالغة العموميّة، وفي نطاق دراسة العلماء للنتائج البالغة الخصوصيّة، والفلسفة تستنفذ ذاتها في

[1] – غاستون باشلار: فلسفة الرفض: ص 6.

[2] – غاستون باشلار: فلسفة الرفض: ص 14.

[3] – غاستون باشلار: فلسفة الرفض: ص: 6.

مواجهة العَقبتين المعلومتين (الابستمولوجيّتين) اللّتين تحدّان كل فكر: العام والمباشر. وهي تقوِّم القبلي تارةً، والبعديّ تارة أخرى، مُتجاهلة الطفرات والتحولات داخل القيم المعلوميّة التي يجريها الفكر العلمي المعاصر إجراء متواصلا بين القبلي والبعدي، بين القيم الإختبارية والقيم العقلانية"[1]. ومن هذا المنطلق والعرض الشامل لدور العلماء والفلاسفة وفلسفة العلم تبيّن "بكل وضوح، أننا كنا نفتقر إلى فلسفة العلوم التي من شأنها أن تُظهرَ لنا في أية شروط –ذاتية وموضوعية معًا– تُوصل الأسس العامة إلى النتائج الخاصّة، إلى التقلّبات المختلفة"[2].

[1] – المصدر السابق: ص: 7– 8.

[2] – المصدر نفسه: ص: 8.

المبحث الثاني: القطيعة المعرفية عند باشلار.

المطلب الأول: القطيعة المعرفية:

أول من بلور مفهوم القطيعة الإبستمولوجية أو "القطيعة المعرفية" هو فيلسوف العلم "غاستون باشلار"، ومفهوم القطيعة المعرفية عنده له معنيان:

فهو أولا يعني به القطيعة بين المعرفة العلمية ونظريتها المعرفة العامية (معرفة العوام وغير المختصين في الحقول العلمية) والفرق بينهما أن العلمية منهما مبنية على العلم والقوانين والبحث العلمي الجاد، والأخرى مبنية على الظن والتخمين ومن دون أي دليل علمي يدعمها أو قانون يؤسس لها.

أما القطيعة الثانية فهي ذاتية، تعني المعرفة القبلية التي توجد في عقل العالِم نفسه، ويجب على هذا العالم أن يتركها خارج المخبر قبل دخوله للمخبر، وفي المخبر يبحث من دون أي فكرة قبلية عن تلك المسألة أو الفكرة، يعني يبدأ من الصفر وكل الإحتمالات متساوية ولها نفس القوة. فهذه القطيعة، هي قطيعة بين الأنظمة المعرفية في التاريخ العلمي. مثل أن نقول مثلا بأن "نيوتن" قد قطع تماما مع الفيزياء السابقة له بعد أن حولها إلى كمية حسابية. أولى "باشلار" الاهتمام الأكبر للنوع الأول بحكم اهتماماته العلمية أما النوع الثاني فوجد تطبيقاته عند الثلاثي "فوكو" و"ألتوسير" و"كوهن". وينتهي "باشلار" إلى عدم وجود استمرارية في المناهج العلمية السائدة، بل الموجود هو القطائع المعرفية، فالبحث العلمي يفرض علينا تطوير المناهج، أي "انّ العلم حين يغيّر من مناهجه يصبح أكثر منهجية"[1]. وقوله هنا عكس كلام فلاسفة الاستمرارية، من الذين يحالون ايجاد خيط يربط الاستمرارية من خلال اللغة ببحث لغة علميّة تكون سبيلا لهاته الاستمرارية، وهذه الطريقة في حقيقتها لا تزيد على أن تثبّط العوائق الابستمولوجية أكثر لا غير بحسب "باشلار"[2].

---

[1] – شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم: ص: 154.

[2] – محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند باشلار.

فيحدد "باشلار" القطيعة المعرفية انطلاقا من صلة الابستمولوجيا بتاريخ العلم، ثم ينظر في هذا التاريخ ليتكلم من خلاله عن المعرفة (المعارف العلمية) من جهة أن قضية القطيعة مسألة حيوية. "وليس المقصود بالقطيعة الابستمولوجية ظهور مفاهيم ونظريات وإشكاليات جديدة فحسب، وإنما المقصود أكثر من ذلك، هو أنه لا يمكن أن نجد أي ترابط أو تواصل بين القديم والجديد"[1]، ومعنى هذا أن العلم في تطور مستمر وفي تصحيح لمفاهيمه بشكل متواصل فهو يصحح "مبادئه وفروضه ونتائجه"، وأن هذه القطيعة تشمل كل أنواع القطيعة المعرفية، وأن القطيعة تنطبق على الجميع وكلما حدثت قطيعة ظهرت حقيقة علمية جديدة وبالتالي فإن التاريخ العلمي هو نفسه تاريخ الحقائق العلمية[2].

ف"باشلار" لا يعني بمصطلح القطيعة الابستمولوجية العلمية، ظهور مفاهيم أو نظريات أو أفكار أو اشكاليات أو قوانين علمية جديدة أو تراثا جديدا منفصلا عن التراث المعرفي الأول وإنما المقصود بالقطيعة قطع الصلة مع للأفكار الميتة التي لم تعد صالحة للمواصلة قدما في عالم الأفكار بمعنى طرح كل الأفكار غير العلمية جانبا وعليه فسيصبح عندنا تاريخ خاص بالأفكار العلمية (الحقائق العلمية) ومن هنا جاءت الفكرة في ذهن "باشلار" أن ينحت مصطلحا جديدا وهو أخطاء العلم والذي استخرجه من فكرة "تاريخ العلم" وهكذا يصبح العلم يصحح نفسه بنفسه فكلما تطور كلما راجع نفسه وأخرج الأفكار في غير العلمية من تاريخه ووصل قدما نحو تصحيح نفسه وخير مثال عما ذكرنا هو "جاليليو جاليلي أو غاليليو غاليلي (Galileo Galilei/ 1564– 1642م) هذا الأخير الذي قطع الصلة بالعلم القديم الذي كان يعتقد بأن الأرض مركزا للكون واستبدلها بفكرة أن الشمس هي مركز الكون.

المطلب الثاني: مستويات القطيعة المعرفية:

لقد حدثت قطيعة معرفية مع فيزياء "نيوتن" ثم ظهرت عدة عوائق في طريق هذه الفيزياء، حتلا حدثت قطيعة أخرى مع ظهور النظريتان النسبيتان الصغرى والكبرى مع

[1] – عمر مهيبل: اشكالية التواصل. ص: 96.

[2] – أنظر محمد عابد الجابري، تطور الفكر الرياضي ص37

"أينشتاين"[1]، وهذه عبارة عن أمثلة توضح ما يعنيه باشلار بالقطيعة الإبستمولوجية. لكن وقبل حدوث أي قطيعة معرفية هناك ما ينبه إليه باشلار وهو العوائق الإبستمولوجية والمتمثلة بشكل عام في المعارف البسيطة والساذجة التي تشير عند عامة الناس، ولشدة انتشارها وعموميتها فإنها تعترض طريق العلماء وبالتالي تكون عائقا معرفيا أمام المعرفة العلمية، خير مثال على ذلك أن انتشار فكرة الأرض المسطحة دائما ما كان عائقا أمام فكرة كروية الأرض وحتى حدثت القطيعة يجب على العلم أن يتجاوز العوائق، ومن هنا قد يتساءل الباحث حول ما إذا حدثت قطيعة ما هل يعني هذا بالضرورة هدم المعارف السابقة؟ وبتعبير آخر هل تطور العلم يمثل تهديدا على مبادئ العلم؟

وللإجابة على هذا الإشكال والتساؤل المعرفي وجب التنبيه إلى أن الابستمولوجيا تبحث دائما ثلاثة أشياء أساسية (مبادئ العلم وفروض العلم ونتائج العلم)، فإن المبادئ التي هي في نظر الناس راسخة لا تقبل التغيير لا يعني أنها خارجة من النقد العلمي بل الابستمولوجيا دائما ما تراجع مبادئ العلم وتتحقق منها بعد كل تطور معرفي، وقد تبين بأن العلم في تطوره يبيّن لنا بأنّ المبادئ التي تثبت نفسها في كل تطور علمي جديد تبقى ثابتة لبناء المعرفة الجديدة، وأما المبادئ التي تفشل أمام الإختبار الجديد فإنها بالضرورة لا تكون من مبادئ التي ينطلق منها (العلم الجديد) وهو خلاصة كلام "باشلار" جوابا عن هذا الإشكال، ومن هنا ميّز "باشلار" في القطيعة الابستمولوجية بين مستويين:

المستوى الأول (هو الفكر العلمي الجديد). الذي تأسس بعد فيزياء نيوتن.

والمستوى الثاني (الفكر العلمي القديم). الذي كان قبل فيزياء نيوتن.

وهذا التمييز ضرورة لابد منها اذا ما نظرنا مثلا إلى فيزياء "أينشتاين" وقارناها مع فيزياء "أرسطو" فإنهما لا يتشابهان اطلاقا لا في المبادئ ولا في الشروط وهذا يدل قطعا على القطيعة العلمية الواضحة الجلية بين فيزياء اليونان وفيزياء العصر الحديث، ثم

[1] – يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين: ص: 190.

بالضرورة يدل على أهمية القطيعة الابستمولوجية التي يفضلها تبيين الفرق بين المنهج العلمي في الفلسفة اليونانية، والمنهج العلمي في العلم المعاصر، بمعنى أن منهج أرسطو قائم على المنطق الصوري، أي على صورة الفكرة فهو منطق نظري عقلي بينما الفيزياء المعاصرة قائمة على المنطق التجريبي الاستقرائي الحسي مع فرانسيس بيكون وبالتالي منهج أرسطو قائم على المنطق الصوري، أي على صورة الفكرة فهو منطق نظري عقلي بينما الفيزياء المعاصرة قائمة على المنطق التجريبي الاستقرائي الحسي مع فرانسيس بيكون وبالتالي منهج أرسطو يختلف على منهج بيكون وبهذا تكون قد توضحت فكرة القطيعة الابستمولوجية وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن لكل مرحلة علمية على الرغم مما يبدو بينهما من تواصل، لها بنيتها الخاصة وسماتها وخصائصها المميزة التي تعمل بالضرورة على مجاوزة المراحل الأخرى... ذلك أن مفهوم القطيعة كما بلوره باشلار ماهو إلا تفسير لنشأة الثورات العلمية التي تحدث داخل العلم[1].

المطلب الثالث: تعدد العوائق المعرفية:

وبعد النظر في كتب "باشلار" وفلسفته تبين أنه يقول بتعدد العوائق الابستمولوجية وهذا لأن المعرفة العلمية ليست نهائية في حقيقتها بل تتطور باستمرار، كما لها علاقة بالحالة النفسية للباحث والتي استفادها غاستون باشلار من التحليل النفسي الفرويدي وبالتالي فإن لكل مرحلة علمية عوائقها الابستمولوجية وخير مثال على ذلك ما جاء في تاريخ العلوم الرياضية والفيزيائية فالمثال الذي يضربه العلماء بالهندسة الإقليدية (مؤسسها اقليدس الإسكندري) حينما وصلت إلى حد لا يمكنها فيه الإجابة على الأسئلة الهندسية الجديدة، فحدثت القطيعة معها بالتأسيس لهندسة جديدة (هندسة ريمان ولوباتشوفسكي) اللإقليدية، كما هو الحال أيضا في الفيزياء والتي وصلت فيه إلى حد لم تستطع فيه الإجابة على الأسئلة الجديدة حول الجاذبية حتى جاء "نيوتن" بفيزيائه التي برهن فيها على الجاذبية وبالتالي

[1] – عمر مهيبل: التواصلية ضد القطيعة المعرفية: ص: 102.

حدثت القطيعة مع الفيزياء الكلاسيكية، ثم تطورت الفيزياء شيئا فشيئا إلى وقت "أينشتاين" وحدثت قطيعة ابستمولوجية أخرى بعد ادخال النظرية النسبية في الفيزياء.

أما أنواع العوائق الابستمولوجية فهي خمسة كالآتي[1]:

– العائق الأول: عائق التجربة الأولى، وهو الفكرة الأولى التي يستنتجها العالم الأول الذي اجرى التجربة، فيبقى الذين من بعده يستعملون كلامه دون إعادة دراسة للتجربة.

– العائق الثاني: عائق التعميم وذلك عندما يتحول التعميم إلى مماثلات بين الظواهر واحتقار واهمال أي تفاصيل علمية.

– العائق الثالث: ويتمثل في قبول بعض الأشياء من دون دراسة، ومثّل لها "باشلار" بلفظة "الاسفنجة"، فهذا اللفظ نقول انه واضح لا يحتاج الى شرح، ثم نستعمل لفظة "اسفنجة" للتعبير عن أشياء وأفكار علمية وبالتالي سنخطئ، لأننا تكلمنا في شيء علمي بلفظ غير مشروح ولم نفسره تفسيرا دقيقا.

– العائق الرابع: العائق الجوهري: ويعني به أن الفكر القديم، وهو الفكر الغير علمي، الذي لا يركز على التجربة، بل فقط على يوحد نظريا بين الأشياء المتشابهة ويرجعها جميعا إلى جوهر واحد هو الأصل، وهذا الجوهر هو قاعدة عقلية لم يتحقق منها بالتجربة. مثل ما حدث في الهندسات الإقليدية، حتى جاءت الهندسات المعاصرة وتحققت من مسلمات اقليدس وظهر أن ما كان العقل البشري يعتبره جوهرا(قانونا) في الهندسة الإقليدية ليس كذلك.

–العائق الخامس: ويظهر انه يستفيد من "برغسون" في مجال "فلسفة الحياة"، فيقرر بأن العائق الإحيائي هو الآخر لا يقل أهمية عن غيره من العوائق الإبستمولوجية، ويعني به تلك النظرة التي ترى الحياة بأنها معطى واضحا، ثم يصبح هذا الكلام كأنه مسلمة، وينبني عليه بعض العلوم والمعارف، مثل علم "الأنثروبوجيا" علم دراسة الإنسان "ثقافيا، وجسديا، وتاريخيا"، وهو العلم الذي كان من قبل كأنه واضح للإنسان في حياته اليومية ولا يحتاج إلى بحث، وبعد البحث تأسّس فيه هذا العلم.

[1] – عمر مهيبل: اشكالية التواصل: ص ص: 97– 102.

إن هدف "باشلار" من مفهوم "القطيعة المعرفية" هو تمييز العلم القديم عن العلم الحديث، وأن العلم له تاريخه الخاص به مثل علم النفس وعلم الإجتماع والفلسفة هو ما يصطلح عليه بتاريخ العلم أو تاريخ العلوم، وميزته الأساسية التي يتميز بها هي القطائع المعرفية والتي من خلالها يقطع صلته بالقديم من العلم ويواصل مع الجديد منها، فذلك القديم قد حقق المطلوب منه في كل مرحلة من الزمن الذي قد عاشه وانتهت صلاحيته، فعلوم الحضارات القديمة مثلا كالصينية، والهندية، والمصرية، والآشورية والعراقية. قد أجابت على تساؤلات عصرها بالعلم المتاح عندها.

وهكذا وبالنظر في تاريخ الحضارات، الحضارة اليونانية والإسلامية والحديثة والمعاصرة، وقسمنا تاريخ الحضارات إلى أربع مراحل، فإننا نجد أنّ القديمة قبل اليونان ثم اليونانية ثم مع ظهور الفلسفة ظهرت مرحلة العقلانية الأولى ثم تطورت مع ترجمة العلوم من اليونان إلى الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، فإننا نلحظ عبر تاريخ هذه الحضارات أن العلم قد مرّ بقفزات نوعية وقطائع معرفية ما بين الحضارة والتي تليها وفي كل مرحلة جديدة يؤسس لنظريات جديدة تواكب ذلك العصر، وبالتالي ظهور النظريات العلمية الجديدة هو المسؤول عن القطيعة المعرفية مع النظريات السابقة، وخير مثال على ذلك الرياضيات بنوعيها الكمي المتصل (الهندسة) والمنفصل (الجبر أو الحساب)، قد تطور في الحضارة اليونانية بعد الترجمة عن الحضارة العراقية والمصرية وهكذا ظهرت نظريات "فيثاغورس الساموسي" (570– 495 ق. م) ثم مع الزمن ظهر ما يسمى بأزمة الأسس في الرياضيات بعد ظهور هندسة "ريمان" و"لوباتشوفيسكي"، فتلك الأزمة أحدثت قطيعة ما بين الهندسة الكلاسيكية والحديثة، فحدثت قطيعة معرفية في الهندسة وكذلك في الفيزياء.

المبحث الثالث: مفهوم فلسفة النفي(الرفض)عند "باشلار".

المطلب الأول: السياق التاريخي لفلسة الرفض:

إن المتأمل في فكرة "فلسفة الرفض" يجد بأنّ "باشلار" قد دخل في مناقشات علمية حادّة ضد كل الفلسفات السائدة تقريبا، وهو ما يميّز فلسفته وجعل غيره ينتبه لها محاولا فهمها ودراستها، فحين في كتبه ومقالاته يتبيّن أنها كانت تتراوح ما بين التحليل العلمي لنظريات علمية، أو مناقشة ومحاورة واعتراض ونقد لآراء وأفكار فلسفية، أو تفسير ودراسة رياضية لكشوفات في العلم جديدة، "لقد تعارك مع هينري بيرجسون(Henri Bergson 1859–1941) حول (نظرية الحدس)(Intuition) فرفضها وتعارك مع إميل ميرسون (Merson Émile 1859–1933م) حول (مفهوم الاستمرارية) (Continuité) في تاريخ العلوم فرفضها كذلك. كما تعارك مع (هينري بوانكاري Henri Poincaré/ 1854–1912م)، حول طبيعة الرياضيات واتهمه بكون نظريته لم تستطع فهم دلالة نشأة الهندسة اللاأقليدية، وأخيرا انتقد كل الإتجاهات العقلانية التي كانت سائدة في عصره. على عكس نتائجها يتحدث باشلار حول (الإبستمولوجيا اللاديكارتية[1]) (Épistémologie non cartesienne) ففي سجاله لم يكن باشلار يوجه انتقاداته لأشخاص (فلاسفة)، بل لأفكار، لذلك يناقش غالبا فكرة أو رأي فلسفي في إطار تسمية عامة مثل الشكلية (Formalisme)، والتوافقية (Conventionnalisme)، والمثالية(Idéalisme)، والوضعية(Positivisme)، والتجريبية (Empirisme)، والواقعية (Réalisme)، لقد ساجل باشلار كل هذه التيارات الفلسفية باستمرار. وبفضل هذا السجال تمكنت فلسفته من تشكيل موقف فلسفي لافت للنظر ومتميز وسط ستة تيارات فلسفية، حيث ينعت فلسفته بنعوت مختلفة مثل: (فلسفة الرفض Philosophie du non)، و(عقلانية تطبيقية) (Rationalisme appliqué) و(مادية عقلانية)،

[1] – الإبستمولوجيا اللاديكارتية هو عنوان الفصل السادس من كتاب باشلار العقل العلمي الجديد، ترجمة عادل العَوا، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1983) ص: 37.

(Matérialisme rationnel)، و(مادية تقنية) (Matérialisme téchnique)، و(فلسفة مفتوحة) (Philosophie ouverte)، و(فلسفة مجادلة) (Philosophie .(dialoguée)"[1].

المطلب الثاني: مفهوم فلسفة الرفض:

وأما فلسفة الرفض في الإصطلاح "الباشلاري" فتعني (مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد)، فهي ليست مذهبا فلسفيا، يرفض فقط الأفكار ويعارضها، أو مذهب عدمي ينفي الأصول الفسلفية ويرد البدء من جديد ولكنه لم يبدأ، فهي لا تعرض تناقضات دون أدلة أو جدالات فارغة وشبهات عمياء، وإنما فلسفة الرفض هي فلسفة ترفض الأفكار السلبية التي لا قيمة لها فلسفيا ولا علميا، وتؤسس للفلسفة العلمية الحقّة، وفي نهايتها تحاول إعادة تنظيم المعرفة العلمية في قالب جديد، هذا القالب الذي لا علاقة له بأي معرفة قبلية جاهزة، وفي الوقت نفسه لا تقبل الجمود العلمي حول قالب بذاته، بل هي باستمرار في تجديد للمناهج بحسب المعطيات العلمية الجديدة، ومن هنا يتشكل الجدل العلمي القائم على آخر الإكتشافات العلمية، وهو عكس الجدل الفلسفي القائم على المنطق الأرسطي مثلا، والثابت منذ أرسطو، والذي وصفه الفلاسفة بالعقيم فقط لأنه لا يتجدد، كما أن منهج الفلسفة المفتوحة يختلف عن منهج "هيجل" القائم دائما في جوهره على الفكرة ونقيضها، بل الجدل المفتوح في فلسفة الرفض قائم على كل الإحتمالات كما ذكرنا في الفصل الأول في المبحث الأول. وعليه ففلسفة الرفض بهذا المعنى تستهدف كل الاحتمالات ولا ترتكز على التناقضات مثل جدلية "هيجل"، القائمة على الفكرة ونقيضها[2]، بل فلسفته تتجنب الخطأ، وتحتفظ فقط بالصواب من الأفكار العلمية التي قرّر العلم صحّتها تجريبيا، وهذا التطور في حقيقته يتتبع إدراكنا للمعرفة لحظة بلحظة من خلال زمن العقل البشري.

[1] – محمد اليزناسني: باشلار في الإبستمولوجيا الفرنسية(تاريخ: 20/ 02/ 2024م: توقيت: 12.28 من موقع (/https://hekmah.org

[2] – علي يطو: الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة: ص: 84.

المطلب الثالث: الغاية من فلسفة الرفض:

يحاول "باشلار" أن يقدّم نمطا فكريا يتراءى في صورة ما كأنه بدل من فلسفة النفي(الرفض)، ولهذا يقول: "إن فلسفة رفضية لا تستهدفُ سوى منظومات متراكبة، منظومات تقف عند نقطة دقيقة في علاقة تكاملية، إنما تُعنى أولا بعدم إنكار شيئين في وقت واحد. فهي لا تثق البتّة في تماسك نفيين/ رفضت"[1]، وهذه التقريرات العلمية منه كانت نتيجة تتبعه لتاريخ العلم، ولوقائع العلم، فيضيف قائلا: "والواقع أن كل إزدهار الفكر العلمي منذ قرن صادر عن تعميميات جدلية... ومثال ذلك الهندسة الاقليدية تتضمن الهندسة اللااقليدية"[2]. ويضرب الأمثلة الكثيرة متمما فكرته ومدافعا عنها، ليجعلها واضحة في أذهان غيره، مبينا بأن علم الحساب قد أُسس على العقل مثلا، وأن العقل من خلاله طور الرياضيات، وهذا التطور حدث بفعل العقل المنفتح على التطور، ولما كان العقل منغلقا في الهندسة تأخر تطورها وبالتالي تأخر ظهور الهندسات اللااقليدية، بالرغم من أنها كانت مندرجة في الهندسة الإقليدية نفسها.

وعليه فيجب على الإنسان أن يهذب عقله ويفيد في كل فرصة سانحة، "يتوجب عليه –أي العقل– البحث عن تنوع المعاقلات، أو بكلام أفضل، عن تباينات التّعقل. والحال، فإنّ تبينات التعقل هي الآن كثيرة في علوم الهندسة والفيزياء، وهي كلها متكافلة مع جدل الأسس العقلية، مع نشاط فلسفة الرفض"[3]، فالعقل في تطور مستمر وعليه أن ينفتح على كل احتمال فكري، وعلى كل التباينات العلمية حول القضايا الفكرية، ويجب على العقل أن يخضع للعلم، لأن العقل في نهايته مجوعة معارف علمية.

[1] – باشلار: فلسفة الرفض: ص: 155.

[2] – المصدر نفسه: ص: 156.

[3] – المصدر نفسه: ص: 164.

خلاصة

ان الإبستمولوجيا عند "باشلار" تعني فلسفة العلم ولكن ليست مطابقة له حرفيا، فهي تشبهه، فتعني مراجعة مبادئ العلم القديمة من طريق مبادئ العلم الحديثة. ومن هنا يقول بتعدد العوائق الإبستمولوجية وأنها خمسة (عائق التجربة الأولى، وعائق التعميم، عائق قبول الأشياء قبل تمحيصها، والعائق الجوهري، والعائق الإحيائي). وعليه فالقطيعة تعني قطع الصلة بين العلم والمعرفة العامية، كما تعني قطع الصلة مع المعرفة القبلية التي توجد في عقل العالِم نفسه، ومنه يؤكد بأن فلسفة الرفض ليست مذهبا فلسفيا وإنما هي فلسفة ترفض الأفكار التي ليس لها أي قيمة من الناحية العلمية.

الفصل الثالث:

مكانة ابستمولوجيا "باشلار"

الفلسفية

تمهيد.

المبحث الأول: مكانة ابستمولوجيا "باشلار" العلمية.

المبحث الثاني: انعكاسات ابستمولوجيا "باشلار" على الفلسفة

المبحث الثالث: نقد فلسفة "باشلار".

خاتمة.

تمهيد

سنبحث مكانة ابستمولوجيا "باشلار" العلمية، وهل هي فلسفة تود أن تكون متكيفة حقّ التكيف مع الأفكار العلمية الدائمة التطور، وإن كانت كذلك ففيما تنعكس ابستمولوجيا "باشلار" على الفلسفة، ولتناول هذه الاشكالية يجب النزر في مساهامته في التحليل النفسي، وأثر الإنفعلات النفسية على الموضوعية والبحث العلمي، وكيف كانت مساهماته في تصحح العلم المعاصر، من خلال التصور الابستمولوجي الباشلاري.

المبحث الأول: مكانة ابستمولوجيا "باشلار" العلمية.

المطلب الاول: قيمة فلسفة باشلار:

قبل أن ننقل المادحين لفلسفته ننقل كلامه هو نفسه في مدح فلسفته، إنه يبرز فلسفته بكل افتخار، وهذا الإظهار دائما ما كان في كلامه، في كل مرحلة تسنح له فيها، ففي كتابه "فلسفة الرفض" يقول: "والحال كيف نتعامى عن فلسفةٍ تودّ أن تكون متكيّفة حقّ التكيف مع الفكر العلمي الدائم والتطور"[1]، فهو يشير إلى أن قيمة فلسفته تكمن في أنها متكيّفة حقّ التّكيف مع الفكر العلمي، وليس الفكر العلمي الكلاسيكي بل الفكر العلمي الدائم والمتطور، فهي فلسفة تتميز بالديمومة والإستمرارية، كونها تساير العلم وتطوره، فهي لا تشتغل بأصل الكون مثل الفلسفة اليونانية، ولا بالتوفيق بين الدين والفلسفة مثل الفلسة اليهودية والمسيحية والإسلامية في فتراتهم الوسيطة، ولا تشتغل بأصل المعرفة مع المذهبين التجريبي والعقلاني، بل هي تشتغل بقضايا العلم المعاصرة، فهي فلسفة حية تشتغل باليومي العلمي، وليس بأشياء بعيدة عنا أو أشياء ميتافيزيقية، أو أشياء جدلية لا حل لها، بل أشياء يعيشها العقل العلمي، ويحتاج إليها العلم من جهة كما يحتاج إليها العلماء، وتحتاج إليها الفلسفة كما يحتاج إليها الفلاسفة. إنه ينطلق من عقل بلا بنية، بلا معارف، والفيلسوف يطرح في اغلب الأحيان عقلا متكوّنا مزوَّدا بكل المقولات اللازمة لفهم الواقع"[2].

إن الفلسفة ليست تلك التي تتكلم في الماورائيات، وفي الميتافيزيقا، وفي نشأة الكون، وإنما الفلسفة الحقيقية هي تلك التي تهتم بالعلم، وترتبط بالمعرفة العلمية، فالفلسفة المرتبطة بالتطور العلمي هي دائما تتبع الاكتشافات العلمية الجديدة، وبالتالي هي منفتحة على كل تطور علمي، فهي الفلسفة المنفتحة هي وحدها التي نسميها فلسفة المعرفة العلمية، ولهذا يقول "باشلار": "فلسفة المعرفة العلمية بوصفها فلسفة منفتحة، بوصفها وعي عقلٍ يتأسّس

[1] – باشلار: فلسفة الرفض: ص: 10.

[2] – المصدر نفسه: ص: 10.

وهو يعمل على المجهول، وهو يبحثُ في الواقع عمّا يُناقض معارف سابقة"[1]. فالعقل العلمي الباحث في الفلسفة العلمية، لا يسلم بالنتائج ويتوقف عندها، بل هو باستمرار يبحث في نتائج العلم، وفي تطورات العلم.

المطلب الثاني: الفلسفة المنفتحة هي الفلسفة العلمية:

باشلار هنا يراجع نفسه، ليصحح مساره دائما وأبدا، ويصحح نفسه دائما وأبدا، ويواجه مبادئه دائما وأبدا[2]، وعليه فـ"ينبغي قبل كل شيء أن نعي كون الاختبار الجديد يقول (لا) للاختبار العتيق، ومن البيّن أن بدون الرفض لا يكون الأمر مُتعلقا باختبار جديد. لكن هذه (اللا) ليست نهائية ابدا في نظر عقل يُجيد مجادلة أصوله، ويكوّن بذاته وفي ذاته بينات نوعية جديدة، فيُغني جسده التفسيري دون أن يقدّم أي امتياز لما يمكنه أن يكون جسما تفسيريا طبيعيا صالحا لتفسير كل شيء"[3]. فالعقل دائما يجادل أصوله، يجادل الأصول التي يعتقد أنها تامة ونهائية، يجادلها فيراجعها ويُخضعها للإختبار كلما سنحت له الفرصة، فمراجعة الأصول قبل مراجعة الفروع، أعني مراجعة أصول وقواعد وقوانين ونظريات العلم تكون عند فيلسوف العلم تحت المراجعة بشكل مستمر قبل أن يفكر في مراجعة الفروع، لأن أصول العلم هي الأساس في المراجعة، فلا يوجد شيء ثابت في فلسفة العلم مادام أن العلم في حركة تطورية مستمرة، وهذه الجزئية شرحها "باشلار" ووضحها، وخاف أن يُساء فهمه فيها، فزاد بيان المسألة العلمية بقوله: "وربما يُساء فهمنا إذا رؤي في ذلك مجرّد دعوة ثنائية. وخلافا لذلك، نرى أنّ القطبيّة المعلوميّة (الابستمولوجية) هي البرهان على أنّ كلا من المذاهب الفلسفية التي رمزنا إليها بكلمتي تجريبية وعقلانية، هي المكمل الفعلي للآخر"[4]،

[1] – باشلار: فلسفة الرفض: ص: 12.

[2] – جون بيار اوفيفر وبيار ماشيري: هيجل والمجتمع، ترجمة: منصور القاضي(المؤسسة الوطنية، بيروت، ط1: 1993م) ص 12.

[3] – باشلار: فلسفة الرفض: ص: 12.

[4] – باشلار: فلسفة الرفض: ص: 8.

فالفلسفة تكمل بعضها ببعضها، والعلم يكمل بعضه ببعضه، وكلاهما يكملان بعضهما ببعض.

المطلب الثالث: الفيلسوف الحقيقي في فلسفة "باشلار":

وبعد أن تكلم عن فلسفة العلم، والمعرفة العلمية، والعلم والفلسفة، وبين قيمة الفلسفة والقطبية الابستمولوجية، والفلسفة المنفتحة، انتقل ليبين لنا ما الفيلسوف، هل هو ذلك الذي يحفظ الفلسفة اليونانية ويستعرضها، أو الفلسفة الغربية المعاصرة ويحفظها كأنها وحي السماء ويعرضها، أم الفيلسوف هو ذلك الذي يستطيع شرح علوم المنطق والبحث في الماورائيات؟

هنا "باشلار" يجيب ويعرفنا بأن الفيلسوف: "لا يكون فيلسوفا إذا لم يستوعب في لحظةٍ معيّنة من لحظات تأملِه وافتكاره، تماسك الفكر ووحدته، وإذا لم يصُغ شروط توليف العلم"[1]. فالفكر يتيمز بالتماسك والوحدة، ولا يمكن للفيلسوف أن يمسك جانبا من الفكر ويشرحها على أساس أنه العلم والمعرفة النهائية، بل عليه أن يجمع كل شتات الفكرة التي يتكلم فيها، ليصنع تصورا متكاملا حول تلك المسألة، "وعلى الدوام يطرح الفيلسوف المسألة العامة للمعرفة بمقتضى هذه الوحدة، هذا التماسك، هذا التوليف. وعندها يُقدِّم العلمُ نفسه للفيلسوف كمجموعة غنيّة على وجه الخصوص بمعارف حسنة الصُّنع والترابط"[2]. وعلى الفيلسوف ألا يقلق من تباينات المعرفة بين العلماء، ومن تطورها عبر العصور، بل عليه أن يقبلها على أساس أن العلم في حركة وسيرورة مستمرة، لا يقبل الجمود أبدا، وأن تلك التقاطعات والإضطرابات هي شيء طبيعي في الحركة العلمية، فلا يتجاهل الإكتشافات العلمية الجديدة وينغلق على تصوراته الكلاسيكية، "بالنسبة إلى الفيلسوف الذي يجد، بحكم مهنته وبذاته، الحقائق الأولى، لا يجدُ الموضوع المأخوذ بكليّته عناءً في تقرير أسس عامة. كما أن الاضطرابات والتّقلبات والتّباينات لا تزعج الفيلسوف إطلاقا. فهو إما يتجاهلها بوصفها

[1] – المصدر نفسه: ص: 06.

[2] – المصدر نفسه: ص: 7.

تفاصيل نافلة، وإما يكدّسها لكي يُقنع نفسه بلا معقولية المعطى الأساسية"[1]. فالنظر إلى العلم على أساس أنه يعي تطوره، ويعي الأخطاء التي فيها، ويعي تصحيح ذاته، فهو بهذا يشكل العقل العلمي، العقل الذي من خلاله فقط نقول أنه علمي، ذلك أن "هُوية العقل في الأنا المُفتكر شديدة الوضوح لدرجة أن علم هذا الوعي البيّن هو مباشرة وعيُ بعلم، ويقينٌ بتأسيس فلسفة على العلم"[2].

[1] – المصدر نفسه: 11.

[2] – المصدر نفسه: 11.

المبحث الثاني: انعكاسات ابستمولوجيا "باشلار" على الفلسفة:

المطلب الأول: مساهمات باشلار في التحليل النفسي:

من المعلوم أن البحث العلمي يحتاج إلى موضوعية في طرحه وهي المشكلة الإبستمولوجية التي يدندن حولها كل من يتكلم عن العلم من جهة التحليل النفسي، وما قدمه فرويد من قوانين ونظريات وأفكار في التحليل النفسي، والذي بين فيه أن اللاشعور نظرية علمية وليس مجرد فلسفة فقط ومن هذا المنطلق يكتب غاستون باشلار في كتاب "تكوين الفكر العلمي، مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية"، فبعد قراءة الكتاب تبين بأنه قد ربط مفهوم الابستمولوجيا نفسيا، بمعنى أنه قد طبق فكرة "اللاشعور"* في المجال العلمي، قياسا على النفس البشرية، فبما أن الإنسان به جانب شعوري وجانب لا شعوري، فهذا ينعكس على النفس الباحثة في المجال العلمي، ومن هنا نجد أن "باشلار يأخذ هذه الفرضية (اللاشعور) وينقل مجال تطبيقها في الحياة النفسية للشخصية الانسانية إلى مجال العمل العلمي، فللعمل العلمي في نظر باشلار جانب مهم لا يكون موضوع وعي مثلما هو في مجال الحياة النفسية... وليست لهذه المكبوتات شيئا يرد على العمل العلمي من خارجه بل هي منبثقة عنه"[1].

وهذا ما يشرحه "باشلار" في كتابه "تكوين الفكر العلمي"[2] مبينا الشروط النفسية لتقدم العلم، وسرعان ما نصل إلى الإعتقاد بأنه ينبغي وضع مشكلة المعرفة العلمية في صيغة عوائق. وخلاصة كلامه هنا أن العوائق الابستمولوجية هي عبارة عن صيغة جديدة للتعبير عن مشكلة العلم المعرفية. وهذا لأنها منبثقة من صميم المعرفة العلمية "وتبرز في الشروط

* اللاشعور هي فرضية فلسفة أدخلها "فريود" في علم النفس، من اجل ترجمة السلوكات والأفعال التي يفعلها الإنسان من دون قصد، بأنها هي المكبوتات التي استقرت في النفس، فيعبر عنها الإنسان في أحلامه أو فلتات لسانه، أو في انفعالاته الغضبية، ونحو هذا، فجعلها فريود كنظرية علمية وأسس عليها التحليل النفسي، فيما يعتبرها غيره مجرد فرضية فلسفية لم تصل بعد إلى درجة النظرية.

[1] – محمد وقيدي: ماهي الابستمولوجيا" ص: 190.

[2] – المصدر نفسه: ص: 190.

النفسية للمعرفة تبعا لضرورة وظيفية وذلك بمجرد قيام العلاقة بين الذات والموضوع فالمعرفة العلمية باختصار هي التي تنتج عوائقها الابستمولوجية بذاتها"[1]. فنفهم من هذا أن التحليل النفسي مع "باشلار" واستعماله في المعرفة العلمية يبين مدى قيمة علم النفس في الابستمولوجيا، ذلك أن الباحث هو الدارس والمدروس في الوقت نفسه فيحضر فيه الجانب الشعوري واللاشعوري وبالتالي تؤثر الذاتية على الأحكام العلمية التي يصل إليها هذا الباحث خاصة إذا كان جانب اللاشعور مسيطرا على العملية الإدراكية وهنا يكون من الصعوبة بإمكان توافق الواقع مع المعرفة العلمية وتوافق العلم مع الواقع، ونعني بهذا أن اللاشعور سيكون سببا في تحريف الحقيقة ولو نسبيا "وقياسا على ما تقدم نجد أن التحليل النفسي للمعرفة العلمية حسب ما وظفه باشلار يكشف عما يسميه المكبوتات العقلية للعمل العلمي، أي أنه يكشف عن العوائق الابستمولوجية، وبالتالي فإنه يؤدي بالمعرفة العلمية إلى بلورة وعي ويجعلها تدرك عوائقها وعوامل تطلعها"[2].

المطلب الثاني: "مساهمة باشلار في التأسيس لتواصلية "هابرماس:

"قد يتساءل القارئ، وهو سؤال منطقي، ما جدوى دراسة مفهوم يبحث عن التواصل... فبعض الفلاسفة يقرون بوجود تواصل معرفي منهجي بين الفلسفة المختلفة وبين أجزاء الفلسفة الواحدة، وبين الفلسفة ومحيطها الاجتماعي والتاريخي... وبعضهم الآخر ينفي وجود أي تواصل"[3]، ومنها جاء الاستشكال حول فلسفة باشلار وعلاقتها بالقطيعة أم التواصل مع الفلسفات القديمة، ومنها فلسفة العلم والابستمولوجيا.

وقد تبين من خلال فلسفة "باشلار" القائمة على الثورات العلمية على المعارف الميتة التي لم تعد تلبي حاجيات العقل العلمية، والتي لا تجيب على أسئلة العلم العصرية أنه يجب منطقيا وعقليا وابستمولوجيا قطع الصلة معها، وبالتالي فلا تواصلية مع هذا النوع من

[1] – عمر مهيبل: اشكالية التواصل، ص 83.

[2] – مرجع نفسه: ص 84.

[3] – مرجع نفسه: ص 29.

الافكار والمعارف، وذلك لا يعني قطع الصلة مع المعارف السابقة نهائيا، بل يعني الاحتفاظ بالصالح منها، والقطع مع الفاسد منها، المواصلة بالأسس التي لا يزال العلم يقبلها ويبرهن على صحتها بعد تكرار التجارب عليها، أي القابلية للتكرار، ويقطع مع الأشياء التي انتهت صلاحيتها، ولم تعد تلبي حاجيات العلم، وتتعارض مع الاكتشافات العصرية[1]. لنلخص في النهاية بأن القطيعة الابستمولوجية هي تفسير العلم في ثوراته، أي البحث في أسباب نشأة الثورة العلمية وتفسيرها داخل سيرورة العلم، وبهذا قد أضاف باشلار فكرة جديدة إلى العلم تتمثل في القطيعة المعرفية والتي تشمل كل العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة والمادية من جهة أخرى، والتواصلية والمواصلة بالأفكار التي تشكل البنية العلمية[2].

المطلب الثالث: التأسيس للعقلانية المعاصرة:

مما لا شك فيه إن هذا الفيلسوف قد أثر في مجال فلسفة العلم، بما نراه من دراسات كثيرة جدا في هذا المجال، وتم بحث أفكار هذا الفيلسوف من عدة جوانب، حتى أصبحنا نرى تأثير ذلك في مجالات مختلفة من العلم، والتي من خلالها تم ترسيم حدود العقلانية العلمية المعاصرة بما ساهمت به فلسفته، ويكفي أنه ساهم في ترسيخ معنى القطيعة المعرفية والعوائق المعرفية ونحو هذه الأشياء التي شرحناها سابقا.

ليس الأمر هنا فحسب بل أصبحت العقلانية المعاصرة متشبعة بفكرة القطائع المعرفية، وأصبح العقل يبحث في العلم أكثر من خلال تصحيح الخطأ، من هنا يقول "بياجي": "إن الثغرة القلية الكلاسيكية تكمن في طابعها السكوني الجامد، والذي هو طابع ناتج هو الآخر عن اعتقادها الوهمي في وجود منبع مطلق"[3]، فالحديث عن العقلانية الكلاسيكية الديكارتية أصبح ضربا من الخطا الواضح في فلسفة العلم المعاصرة بسبب مثل هذه الافكار الباشلارية القائمة على فكرة تصحيح المنهج باستمرار.

---

[1] – باشلار: فلسفة الرفض: ص: 104.

[2] – المصدر نفسه: ص: 110.

[3] – سالم يفوت: فلسفة العلم والعقلانية العلمية المعاصرة (دار الطليعة، بيروت، ط1، 1982) ص: 155.

من هنا نجد أن باشلار في كتابه "الإلتزام العقلاني" يُعجب شديدا بالفيلسوف "برانشفيك"، ويمتدح فلسفته، فقط لأنه يقول بضرورة تصحيح الأخطاء من طريق القطائع، وهو المنهج الذي يرتضيه باشلار في الفلسفة المعاصرة، والذي نرى أثره في العلوم جميعا، فهي كلها تمشي وفق تصحيح الأخطاء، والقطائع، وهذا بعد بعد ربط باشلار بين الفلسفة المنفتحة والمنهج الجدلي، "إن عقلانيا بدون إشكالية، إن هو إلا عقل لا يتنفس، عقل يختنق"[1].

[1] – محمد وقيدي: فلسفة المعرفة، ص: 91.

المبحث الثالث: نقد فلسفة "باشلار".

المطلب الاول: "باشلار" والكوجيتو الديكارتي:

بدأ "باشلار" مشروعه باصلاح الفلسفة والعلم، متمنهجا بالفيلسوف "ديكارت"، من جهة أن العلم والفلسفة هناك ما يعترضهما من أشياء خاطئة من أجل ذلك كتب "ديكارت" كتابه "مقالة الطريقة"، الباحث عن "وظيفة الاستكشاف الموضوعية"[1]. في إطار "فكر قلق، فكر يلتمس موضوعا"[2]، هذا الموضوع هو "فلسفة الرفض"، "فكر في طريق الموضوعية"[3]. ولذلك يقول: "ينبغي على الفكر العلمي، أن يتشكَّل ضد الطبيعة، ضد كل ما يوجد داخلنا وبعيدا عنا، زخم الطبيعة ثم إرشادها، ضد التدجين الطبيعي"[4].

فيبدو بأنَّ "باشلار" انطلق بكيفية تتناقض مع "الكوجيطو" الديكارتي، حين يكتب: "كيف نتوخى الإمساك بذات بسيطة ومتجرِّدة، خارج فعلها الأساسي على مستوى المعرفة الموضوعية"[5]. فهو يسأل نفسه عن كيفية الأمساك بتلك الذات الباحثة في العلم والمعرفة، والباحثة بشكل موضوعي كيف نتحصل عليها، لأنه ومن دون موضوعية لن نصل للمعرفة العلمية، وإنما نصل إلى المعرفة الذاتية البشرية، ولهذا فهو يعترض على "الكوجيتو" الديكارتي المنطلق من "أنا أفكر إذا أنا موجود"، ليحاول الوصول إلى "أنا أبحث عن الفكرة موضوعيا إذا انا موجود"، فالباحث موجود إذا كان بحثه موضوعيا، أما إذا كان بحثه ذاتيا فوجوده مثل عدمه، لا يضيف شيئا للعلم، ولكن يمكن نقد "باشلار" بكلامه نفسه "كيف نتوخى الإمساك بذات بسيطة ومتجرِّدة، خارج فعلها الأساسي على مستوى المعرفة الموضوعية"[6].

---

[1] – ب، ايفانوغ: الفيزياء المعاصرة، ترجمة: رمسيس شحاتة (وكالة الصحافة العربية، مصر، 2020م) ص 5.

[2] – غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد، ص 177.

[3] – مصدر نفسه: ص 177

[4] – مصدر نفسه: ص 23

[5] – مصدر نفسه: ص 10.

[6] – غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد ص 10.

كيف يمكن لك أنت يا "باشلار" أن تتأكد من نفسك بأنك توخيت الحذر وأمسكت بذات متجردة من كل المعارف القبلية، كيف يمكن أن تبرهن على أن ذاتك متجردة، وبالتالي فلسفتك فلسفة علمية؟ وعند محاولة برهنتك على هذا، سيحتاج برهانك لبرهان، وبالتالي ستقع في الدور، وهذا الأمر معروف في البحوث المنطقية الجدلية، وأنت بهذا السؤال لم تأتنا بجديد سوى أنك اعدت سؤالا فلسفيا كلاسيكيا معروفا منذ بداية التفلسف مع السفسطائيين وسؤال سقراط لهم في المحاورات التي في "الجمهورية"، فمسألة إثبات الموضوعية شيء أقرب للخيال منه للواقع. لكن حين نعدم تلك الوسيلة أو الطريقة للوصول إلى الموضوعية والتجريد، لا يعني أن مجرد الاعتراض على "ديكارت" قد حلّ المشكلة، فديكارت إنطلق من إيمانه بالله وأنه الشيء الموجود الذي لا يمكن الشك في وجوده أصلا لبناء المعرفة، وهذه الفكرة هي عقيدة كل الفلاسفة المؤمنين من قبل أن يولد ديكارت، ولكن "باشلار" كأنه غرق في الفلسفة الفرنسية من جهة أنها الفكر المتكامل الذي من خلاله فقط يجد حلا لمشكلة الذاتية والموضوعية.

المطلب الثاني: "غاستون باشلار" وتصحيح العلم:

إن خطأ "باشلار" في تصوره للعلم، نابع من جهة أنّ العوائق التي تعترض طريق العلم هي عوائق علمية، وهذا جد غريب، فالعوائق لا نقول عنها علمية، وإنما الإشكالات التي تعترض طريق الباحث نسميها إشكالات علمية، أما العوائق فإن في نهايتها تتنوع قد تكون نفسية أو إجتماعية أو خطأ في التصور ونحو هذا، وهذه العوائق الباحث يتجاوزها من أجل أن يتم بحثه، فهي ليست علمية ولا يجوز إدخالها في العلم، بل هي أشياء خارج العلم، فالعلم هو الحقيقة المطابقة للقانون، وليس هو العوائق والأخطاء، فالخطأ خطأ ولا يجوز نسبته للعلم، فالذي أخطأ هو العالم وليس العلم، فالعلم لا يخطئ، العلم هو حقيقة مطلقة، قد يتحصل عليها الباحث وقد لا يتحصل عليها، فالجاذبية كحقيقة موجودة سواء اكتشفناها أم لا، لكن تفسير الجاذبية من عمل الإنسان، فقد فسر الفلاسفة قبل اكتشافها بأن التجاذب عبارة عن عشق الكواكب لبعضها، فالتفسير هو الخطأ والعلم غير مسؤول عن خطأ

الإنسان، بل الإنسان مسؤول عن أخطائه، فالعالم يصحح أخطاء السابقين من العلماء ولا يصحح العلم، فمثلا في "علم النفس" النفس واحدة ولكن النظريات متعددة، من خلالها توصل "ثورندايك" إلى القوانين المتعلقة بنظرية المحاولة والخطأ، منها: قانون التكرار الذي يقوي الروابط بين المثير والاستجابة، وقانون الأثر القائم على الثواب[1]، وفي هذا السياق فيما يخص علم نفس الطفل، فالأخطاء عندهم أعراض وعوائق يواجهها تفكير التلميذ. والأستاذ يهمه الخطأ ليصححه، وليس لأن الخطأ داخل في العلم والمعرفة، فالأخطاء مهمة من جهة توجيه التلميذ لتجنب الخطأ والبحث عن الصواب وليس لأن الخطأ هو طريق العلم كما يظن "باشلار"[2]. و"عند وقوع الأخطاء أثناء الإنجاز، فإنها لا ترد إلى التلميذ الخاطئ بقدر ما ترد إلى المدرس والمقررات وطرائق التدريس المتبعة"[3].

المطلب الثالث: "غاستون باشلار" وفلسفة العلم:

وفي هذا المطلب سننظر إلى الأخطاء الفلسفية التي وقع فيه هذا الفيلسوف، من جهة أن نظريته المعرفية تميزت بسمات عن غيرها من النظريات سنلخصها في نقاط ونبين سبب النقض(الطعن) فيها بحسب الباحثين المختصين في فلسفته، فنذكر منها:

إن الابستمولجيا الباشلارية تستلزم النظر للعلم من زاوية واحدة هي زاوية تصحيح الخطأ، وهذا خطأ، فنحن لا يمكننا أن نلزم العالم في كيفية بحثه والزاوية التي ينظر منها، فالعالم ينظر من الزاوية التي يعتقد انها علمية، والفيلسوف لا يمكن أن يوجه العالم، فلا يقبل العالم الفيزيائي أو الرياضي أو الكيميائي مطلقا توجيه الفيلسوف، فمثلا لا نعلم أن "آنشتاين" قد وجهه فيلسوف علم ليكتشف النظرية النسبية[4].

---

[1] – أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث (الإسكندرية، مصر، الطبعة الثامنة 1970م) ص:206 – 207.

[2] – Bachelard: la formation de l'esprit scientifique, ED.Vrin 1970, pp: 13

[3] – العربي اسليماني ورشيد الخديمي: قضايا تربوية ورهان جودة التربية والتكوين، ص: 96.

[4] – عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ص: 292.

فهو يهتم بالخطأ اكثر من اهتمامه بالصحيح، وفلسفة العلم في التعريف بها كما ذكرناه سابقا أنها تهتم بالعلم ومبادئه وفروضه ونتائجه، وليس بأخطائه، فإذا باشلار يخالف حتى تعريف فسلفة العلم نفسها، ويريد أن يخط فلسفة علم جديدة، ولكن البحث العلمي يقوم على العلم، ولهذا اسمها فلسفة العلم وليست فلسفة الخطأ، فالخطأ خطأ والعلم علم، ولا يمكن الجمع بين العلم والخطأ فنقول الأخطاء العلمية، بل نقول الأخطاء التي وقع فيها العلماء فننسبها للعلماء وأما العلم فنقول الإكتشافات العلمية، فلا يمكن أن نقول الأخطاء العلمية والاكتشافات العلمية في الوقت نفسه[1]. حين وضح باشلار في كتابه "فلسفة النفي" الآفاق العلمية التي من خلالها نغير الفكر العلمي ونصححه ونوجهه، ويضرب مثالا بالهندسة الإقليدية واللااقليدية[2].

[1] – عابد الجابري: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، ج1 ص: 31– 33.

[2] – السيد شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، ص: 140

خلاصة:

"باشلار" يعتزّ بفلسفته كما في كتابه "فلسفة الرفض"، مبينا قيمتها وهذا بعد أن تكلم عن المعرفة العلمية، ثم انتقل ليبين لنا ما الفيلسوف، وبين بأنه ذلك الذي يستوعِ الفلسفة في لحظةٍ معيّنة من لحظات تأملِه وافتكاره، من جهة أنه يقبل المعرفة العلمية المتطورة والعصرية، وهذا مع النظر إلى الشروط النفسية للعالِم كما شرحها في كتابه "تكوين الفكر العلمي"، حين يكتب عن "كيف نتوخى الإمساك بذات بسيطة ومتجرّدة، خارج فعلها الأساسي على مستوى المعرفة الموضوعية"، وهذا التجديد ينعكس على فلسفة العلم المعاصرة كنتيجة أضافها "باشلار" لفلسفة العلم.

خاتمة

خاتمة

في الأخير نستنتج بأنّ "إبستمولوجيا الرفض" عند "باشلار"، ليست مذهبا فلسفيا يحارب الفلسفة أو يعترض من أجل الإعتراض وإنما هي فلسفة عملية تحاول تصحيح المسار الفكري الفلسفي، لينتج عنها فلسفة علمية لها قيمة ووزن في مقابل العلم الذي يتطور كل يوم بتسارع مذهل للغاية. على هذا النحو الحاد تبدو أطروحته الفكرية كأنها إنقلاب على كل الفلسفات السابقة، وعلى رأسها الفلسفات المذهبية والنسقية من العقلانية والماديّة، وكان نقده لهما من خلال فلسفته التطبيقية.

ان إبستمولوجيا الرفض مرتبطة بنظرية المعرفة بالمعنى التقليدي، غير أنها تتميز بسمات خاصة تميّزها عن باقي النظريات المعرفية عند غيره من الفلاسفة، فهي ترفض العقل السابق عن المعرفة، أي رفض الأفكار القبلية، فهي فلسفة بناءة لا تعترف بالأنساق التامة الجاهزة، لأن الفلسفة الحقّة تلك التي تتطور بتطور العلم نفسه. ومن هنا نفهم بأن فلسفة باشلار تدمير وإعادة بناء للفلسفة من داخلها.

بمعنى أن الابستمولوجيا الباشلارية تنظر للمعرفة من جهة تطورها، أي المعرفة في تطور مستمر لا يتوقف، وعليه يجب مراجعة المعرفة ومبادئها ونتائجها في كل مرة، لأنها فلسفة غير مغلقة ولا منغلقة على نفسها، كما أنها لا تتقيد بنسق واحد وتجعله الأصل في التفلسف، ومنه نفهم بأن فلسفة النفي قائمة على التجديد من أجل البناء وفتح الآفاق العلمية مع التمسك بنسبية المعرفة من جهة وقابلية المراجعة من جهة أخرى.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.

القرآن الكريم

المصادر بالعربية:

1. باشلار غاستون. العقلانية التطبيقية، ترجمة: بسام الهاشم. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. ط1 بيروت 1984

2. باشلار غاستون، تكوين العقل العلمي، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 1، بيروت، لبنان ، 1983

3. باشلار، غاستون فلسفة الرفض، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1985.

4. باشلار، غاستون، الفكر العلمي الجديد، ترجمة: عادل العوا، منشورات الاسس ط1،، الجزائر، 1990.

المصادر باللغة الأجنبية

5. G. Bachelard la philosophie du non, Essai d'une philosophie du nouvel Esprit scientifique, Edition P.U.F paris 1973

قائمة المراجع:

6. أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث (الإسكندرية، مصر، الطبعة الثامنة 1970م)

7. إمانويل كانط: نقد العقل العملي ترجمة: غانم هنا (مركز الوحدة العربية، الحمراء- بيروت، ط1: 2008م)

8. إمانويل كانط: نقد العقل المحض ترجمة: موسى وهبة (مركز الإنماء القومي، بيروت- لبنان، 1988م)

9. إمانويل كانط: نقد ملكة الحكم، ترجمة: غانم هنا(المنظمة العربية للترجمة، الحمراء- بيروت، ط1: 2005م)

10. ب، ايفانوغ: الفيزياء المعاصرة، ترجمة: رمسيس شحاتة (وكالة الصحافة العربية، مصر، 2020م)

11. بول موي: المنطق وفلسفة العلوم، تر: فؤاد زكريا (دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.س)

12. بيار ماشيري: أوجست كونت: الفلسفة والعلوم، ترجمة: ساهم أدهم

(المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان. ط1، 1994م) ص: 116.

13. الجابري محمد عابد: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط8، 2014م)

14. جمال بوغالم: ابستمولوجيا باشلار بين الفلسفة والعلم (الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والغنسانية، عدد 21، 2019م).

15. جون بيار اوفيفر وبيار ماشيري: هيجل والمجتمع، ترجمة: منصور القاضي(المؤسسة الوطنية، بيروت، ط1: 1993م).

16. حمد محمود ربيع: مناهج البحث في العلوم السياسية (مكتبة فلاح، الكويت، من دون سنة طبع)

17. سالم يفوت: فلسفة العلم والعقلانية العلمية المعاصرة (دار الطليعة، بيروت، ط1، 1982)

18. ساهل بوعزة، علم الهندسة بين العلماء والفلاسفة (دار القرويين، ط 1، الدار البيضاء، 2002م)

19. السيد شعبان حسن: برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم، دراسة نقدية مقارنة (دار التنوير، بيروت- لبنان، ط1: 1993م)

20. الشنيطي محمد فتحي: المعرفة (دار الثقافة، القاهرة: 1981م)

21. علي حسين كركي: الابستمولوجيا في ميدان المعرفة (شبكة المعارف، بيرو- لبنان، ط1، 2010م)

22. علي يطو: الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة (دار الخلدونية، ط1: الجزائر 2020م)

23. علي يطو: فلسفة العلم والإبستمولوجيا (دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2020م)

24. علي يطو: مدخل إلى الفلسفة (دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2020م)

25. عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة (منشورات الإختلاف: الجزائر، ط1: 2005م)

26. فتحي أبو العينين، هابرماس وتحرير الوعي الاجتماعي، مجلة إبداع، العدد الخامس، أيار/ مايو، 1998م)

27. م، بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزّت قرني (عالم المعرفة، الكويت، 1992م)

28. مجاهد عبد المنعم مجاهد: مدخل إلى الفلسفة (دار الثقافة، مصر، من دون سنة طبع)

29. محمد عابد الجابري: تطور الفكر الرياضي (دار الطليعة، بيروت، 1982م)

30. مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو (دار المعارف، القاهرة: ط2، 1987م)

31. نيتشه فريدريش: هكذا تكلم زراديشت، ترجمة: فليكس فارس (مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م)

32. هاشم صالح: مخاضات الحداثة التنويرية (لابستمولوجية) (دار الطليعة- بيروت، 2008م)

33. هانز رايشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكرياء (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1979م)

34. هيجل فريدريش، في الفرق بين نسق فيشته ونسق شلنغ في الفلسفة، ترجمة ناجي العونلّي، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، 2007).

35. وقيدي: العلوم الإنسانية والإيديولوجية (دار الطليعة بيروت ط1، 1983م).

36. يحي هويدي: مقدمة عامة في الفلسفة (دار الثقافة، القاهرة- مصر، ط9: 1989م)

37. يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، 2014م).

المجلات والدوريات.

38. زهيرة كبير: ترجمة العرب للنصوص الفلسفية اليونانية (مقال علمي: مجلة منيرفا، مجلد: 04، العدد: 02، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر 2018م)

المعاجم والموسوعات

39. حنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3. 2010م).
40. خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو(دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1: 2000م)
41. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة (الاردن، عمان، ط1، 1996م).
42. عبدو الحلو: معجم المصطلحات الفلسفية (المركز التربوي للبحوث والإنماء، ط 1، 1994م).
43. لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: أحمد خليل (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ط2، 1421هـ، 2001م).
44. المعجم الفلسفي: جميل صليبا (دار الكتاب اللبناني، 1982م)
45. هيجل فريدريش: موسوعة العلوم الفلسفية ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (دار التنوير- بيروت، ط3، 2007م)

مواقع الانترنت:

46. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة(المكتبة الشاملة: https://shamela.ws/book/433).
47. محمد اليزناسني: باشلار في الإبستمولوجيا الفرنسية(تاريخ: 20/ 02/ 2024م: توقيت: 12.28 من موقع https://hekmah.org/

الملخص

الملخص: "فلسفة الرفض(النفي)"، عند الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار"(Gaston Bachelard 1884- 1962)، والذي إهتم بمعالجة المشكلات الزائفة في مجال "فلسفة العلم"، من طريق منهجية تجمع كل ما هو علمي منطقي بين العلماء والفلاسفة، مع نقده "اللاعقلانية" المتمثلة في دخول الميتافيزيقا في العلم، ومن هنا جاء مفهومه للإبستمولوجيا بالمعنى العام والخاص، وأنها على مستويين هما الفكر العلمي الجديد، القديم. كما أنه يقول بتعدد العوائق الإبستمولوجية، ويؤسس مفهوم القطيعة المعرفية.

الكلمات المفتاحية : فلسفة العلم، فلسفة الرفض، الإبستمولوجيا، القطيعة المعرفية، نظرية المعرفة.

Abstract :

"The Philosophy of Rejection (Negation)", by the French philosopher Gaston Bachelard (1962-1884), who is interested in addressing false problems in the field of "philosophy of science" through a methodology that brings together all that scientific and logical among scientists and philosophers. With his criticism of "irrationality" represented by the mixture of metaphysics into Science, and from here came his concept of epistemology in the general and specific sense, and that it is on two levels: new scientific thought and the old one. He also points out the multiple epistemological obstacles, and establishes the concept of epistemology.

Keywords: philosophy of science, epistemology, epistemology cutting.